صباح سعيد

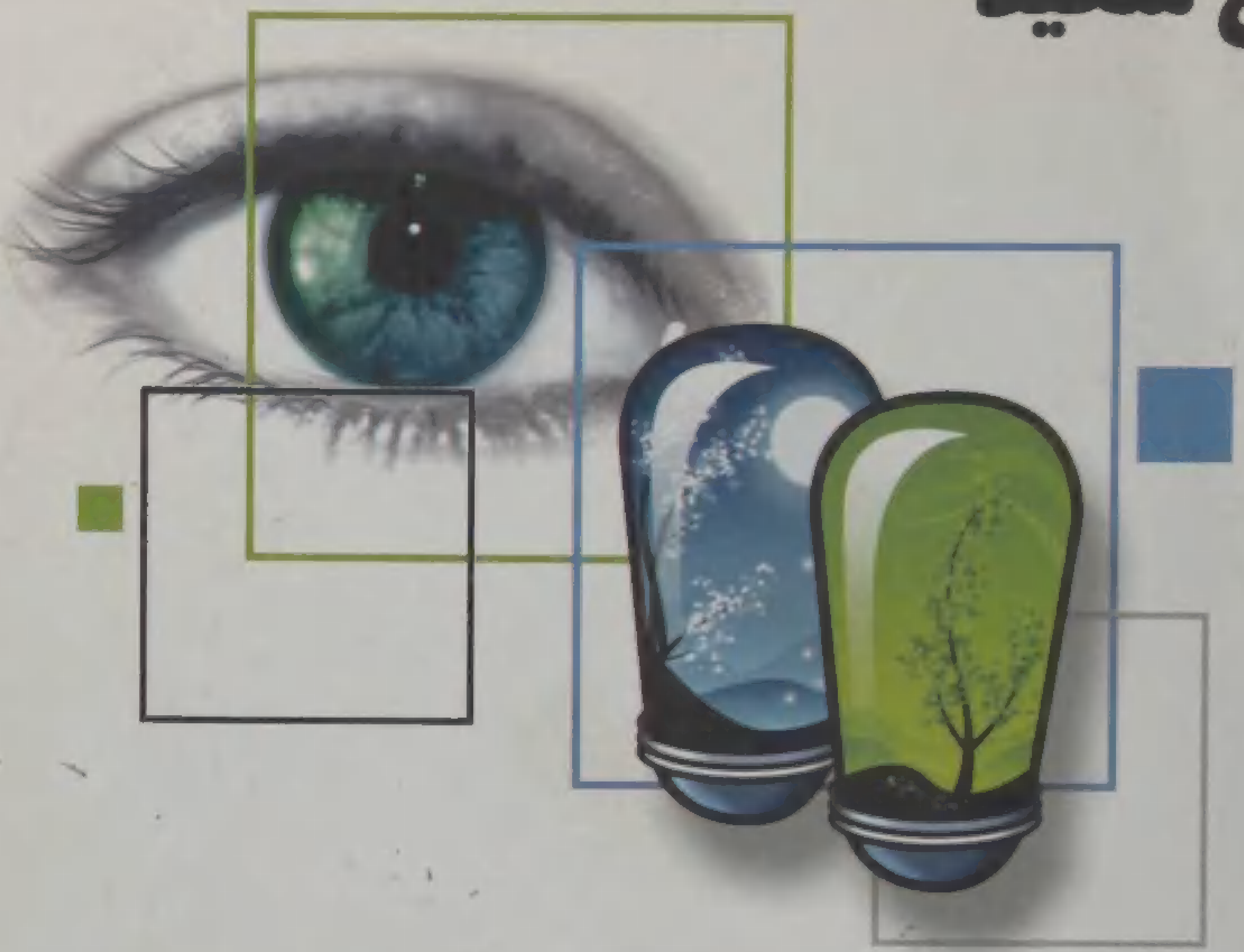

الزوجة المبدعة

بين المعصية والتوبة

أم القرى

دار القلائد
جدة

٢١٣

الزوجة المبدعة

بين المعصية والتوبة

قصص واقعية للفتاة المصرية

تأليف

صباح سعيد

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

مؤسسة أم القرى

للترجمة والنشر والتوزيع

٠٥٠/٢ ٢٣٥١٥٧

٠١٠/١٧٨٦٠٣٣

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1427هـ - 2007

رقم الإيداع: 2006/23474

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977-409-034-9

ت : 010 /5885031
016/ 1898770

مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع

المنصورة ت: ٢٣٣٥١٥٧/ ٠٥٠

ف: ٢٣١٠٢٢٢/ ٠٥٠

٠٠٢ ٠١٠١٧٨٦٠٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بين المعصية والتوبة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ:

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣].

وهكذا قال الرحمن الرحيم معلماً لنا ألا نيأس ولا نقنط من رحمته مهما بلغت ذنوبنا ، فباب رحمته وعفوه مفتوح دائماً ، إنه هو الغفور الرحيم.

أما بعد

فما أقوى المرأة وما أضعفها... ما أقواها عند التزامها بطاعة ربها وما أضعفها عند خضوعها لشيطانها ؛ لذلك فقد حرصت عند جمعي لمادة هذا الكتاب أن يكون نوعا من السياحة في عالم المعصية والتوبة ، لكي نأخذ العبرة وندرك الدرس على أن يكون كل شيء على لسان أصحابه ومدرج مصادره وهو انتقاء لأفضل ما قابلني من قصص التائبات. لعل الله يهدي به وينفع كل من اجتهد في هذا المجال.

صباح سعيد

حاملة القرآن

خرجت من دار تحفيظ القرآن الكريم.. كانت تحمل في يدها كتاب ربها، وفي يدها الأخرى طبقاً خيرياً.. وقبل ذلك وبعده تحمل في قلبها همّ الإسلام، وهمّ إخوتها المسلمين..

لم تشترِ الطبق الخيري لتأكله، وإنما لتنفق من مالها في سبيل الله.. لتتذكر وهي تأكله إخوانها المسلمين في شتى بقاع الأرض.. وما يعانونه من بؤس وجوع وألم ولعل الله أراد أن يكون شاهداً لها يوم القيامة..

خرجت من تلك الدار العامرة لتتخطفها يد المنون.. ليختارها الله إلى جواره – نحسبها كذلك، ولا نزكي على الله أحداً.. سيارة مسرعة يمتطيها سائق متهور تحطم ذلك الجسد الطاهر.. تطرحه أرضاً.. ويهتز المصحف في يدها، ويتناثر الطبق الخيري.. والقلب لا يزال ينبض بالحياة..

وتنقل إلى المستشفى وهي في حالة خطرة.. كان ذلك يوم الأحد، وفي يوم الجمعة تخرج روحها إلى بارئها..

رحمكِ الله يا حاملة القرآن، لم تحملي شريطاً ماجناً، ولا مجلة ساقطة.. ولا خرجت من مرقص أو ملهى، أو سوق تتسكعين فيه متبرجة سافرة. وإنما خرجتِ من روضة القرآن.. يا حملة القرآن.. هنيئاً لك بشارة رسول الله ﷺ :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»** (*) فنامي آمنة مطمئنة ..

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ٦٥٨٢، والترمذي في كتاب الجنائز، باب فيمن يموت يوم الجمعة.

نماذج مضيئة للفتاة المسلمة

هداية زوج قاس بعد وفاة زوجته الصابرة*

يقول فضيلة الشيخ/ محمد بقنة الشهراني:

امرأة أعرفها كانت صابرة على زوجها.. كان يقسو عليها أشد القسوة.. ولكنها لم تخرج عن طاعته.. ما تبرمت على قدر ربها.. صبرت واحتسبت.. وكانت تنظر لأولادها وكأن في نظراتها احتسابهم على الله جل علاه.. وفوق ذلك ابتلاها الله بمرض خبيث في بطنها.. تتألم من شدة الألم تارة وتتألم من شدة ظلم زوجها لها تارات.. وهكذا.. حتى أتتها سكرات الموت..

فعندما أتتها السكرات وفي ذلك الوقت قرأت أحد بناتها عليها آيات من كتاب الله الحكيم.. فإذا بها توصي الأولاد بأبيهم.. يا الله.. أساء لها فأحسنت إليه.. ظلمها فصبرت ودعت له..

توصي الأولاد بأبيهم خيراً.. ثم تأمرهم بأن يخرجوا من عندها ثم توجه بصرها إلى السماء وهي على فراشها.. ثم تشير بالسبابة توحيداً لربها.. وما هي إلا لحظات وإذ بالعرق البارد يتصبب على جبينها وتسلم الروح لبارئها رحمها الله..

ولقد عايشتُ هذه القصة بنفسي..

ماتت وهي توصي بالذي أساء لها.. فهداه الله بعد موتها.. وما زال يذكرها ويدعو لها..

(*) في شريط (مشاهد رأيتها من غسل الأموات لسوء الخاتمة وحسن الخاتمة) الشيخ/ محمد بقنة الشهراني.

ماتت والعرق ينحدر على جبينها فظفرت بـدعوة نبيهـا.. ماتـت بـداء بطنهـا لينطبق عليها حديث رسولها الذي رواه مسـلم وأحمـد ((مـن مـات بـالبطن فهـو شهيد)) وقوله عليه الصلاة والسلام كمـا عنـد النسـائي وأحمـد وصـححه الألبـاني ((من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره))

هنيئا لها بخاتمتها..

هنيئا لها بصبرها واحتسابها..

هنيئا لها بعفوها الذي أوصلها إلى ذلك بإذن الله جل وعلا..

ماتت كما تتمنى

يقول الشيخ حفظه الله:

أراني أحدهم صورة فلما نظرت إليها فإذا بها صورة لامرأة متبرجة.. بيضاء جميلة.. كاسية عارية.. فقلت له: اتق الله ولماذا تريني هذه؟! أما خفت من الله يا عبد الله؟!

فقال لي: أريكها لأخبرك أن هذه التي ترى هي هذه!!

فنظرت إلى الصورة الأخرى فإذا بامرأة قد اسود وجهها.. والظلمة قد ظهرت على ملامحها.. وهي ميتة مقتولة بيد زوجها.. وكان آخر عملها من الدنيا كأس الخمر بيد والسيجارة بيد.. وعلمت بعد ذلك أنها إحدى المغنيات المشهورات أعاذنا الله وإياكم أجمعين..

شتان بينها.. وبين تلك الفتاة (جارتي).. نعم إنها جارتي.. في حي الذي أعيش فيه.. أبوها نحسبه من الصالحين.. لا يترك صلاة في المسجد البتة.. ابنته في الرابعة والعشرين من عمرها.. فرحت بوظيفتها معلمة وإن كان المكان بعيد عن بيتها.. كانت تذهب هي ومن معها إلى عملهم في عربة يستقلونها بالأجرة.. يذهبون سويا ويرجعون سويا..

وقبل شهر رمضان لعام ١٤٢٤هـ فاجأت أهلها بكلام كانت تقوله.. قالت لهم قبل شهر رمضان: (إذا أنا مت فلا تحزنوا عليّ فإني أحتسب خرجتي هذه للعمل على الله فأنا أعلم العلم)..

وكانت تخرج متحجبة متسترة من رأسها إلى أخمص قدميها..

الشيخ: أنا أعرفها.. أنا أرى حجابها رحمها الله..

وقبل موتها.. طلبت من أبيها أن يأخذها لصلاة الجمعة معه فأخذها وكان ذلك في منتصف شهر رمضان..

وبعد الجمعة بيومين.. في يوم الاثنين الخامس عشر من شهر رمضان لعام ١٤٢٤هـ تخرج من بيتها صائمة وكان من آخر أعمالها أنها أيقظت إحدى صديقاتها لصلاة الفجر وكانت تتلو القرآن في العربة التي كانت تستقلها وهي ذاهبة إلى عملها بصوت منخفض وماتت والقرآن بيدها! .. حصل الحادث المروع وماتت وخرجت من الدنيا على هذه الحال الطيبة..

ماتت في يوم الاثنين من رمضان. وقد ولدت في يوم الاثنين من رمضان! .

ماتت وقد صلت الفجر.. ولم تنم بعد صلاة الفجر بل تتلو القرآن إلى وقت الدوام..

ماتت وقد دعت إلى الله في ذلك اليوم بأن أيقظت صديقتها إلى الصلاة..

ماتت والقرآن في يدها..

ماتت وهم يخرجونها من العربة ويقولوا الذين أخرجوها: والله أننا أخرجناها من العربة ووضعناها في الإسعاف ولم يظهر من جسدها قدر أنملة!! .. فقد كانت مع تحجبها تلبس السراويل الطويلة تحت لبسها تقول: « لو قدر الله لي الموت لا يراني أحد، لو قدر الله لي الموت لا يراني أحد».

بكى الشيخ حفظه الله وهو يقول:

ماتت كما تتمنى.. كاد أبوها أن يجنّ عليها.. لما رآني وقد دخلت أعزيه

احتضنني وأمام الناس بكى وأجهش بالبكاء ورفع صوته وقال: (أبـر أولادي بـي هذه يا محمد)..

هنيئا لها على القرآن والبر والدعوة والصيام ورمضان.. تموت رحمها الله..

تـــزود قريبـــاً مـــن فعـــالك إنمـــا — قرين الفتى في القبر ما كان يفعلُ

وإن كنـت مشـغولاً بشـيء فـلا تكـن — بغير الذي يرضى به الله تشغـلُ

فلـن يصـحب الإنسـان مـن بعـد موتـه — إلى قبـره إلا الذي كـان يعمـلُ

ألا إنمـــا الإنســـان ضـــيفٌ لأهلـــه — يقيـم قليلاً عندهـم ثـم يرحـلُ

توبة على يد يتيمة*

إن سنة ٢٠٠٣ كانت سنة أولها رزق وفير وحصاد جيد. أما في نهايته، فلقد استوطنت الكآبة والإحباط في قلبي بل وحتى الخوف من الله العزيز الحكيم أما عذاب الضمير قد كان له أثر وشأن في نفسي كبير. لهذا أصبحت لا أنام من الليل إلا قليلاً لذلك أحاول ألا أذهب إلى فراشي إلا إذا غلبني النعاس وسيطر عليَّ التعب. وقصدي هو أن لا تأتيني تلك الطفلة الصغيرة في الحلم. ورغماً عني تعاتبني على جرم وخطأ ارتكبته في حقها في يوم من الأيام، فأفسد علي حياتي بل وأفسد علي نومي، وعكّر مزاجي، فضلاً عن حالتي عندما أصحو من النوم. فإني لا أتمالك نفسي فأبكي بحرارة وحسرة. وندم على ما فعلت. ولكن هيهات فلقد قضى الأمر وانتهى.

أقول لم يردعني دين أو خلق في يوم من الأيام على ما كنت أفعل. بل كنت على يقين بأنه لا ضمير عندي وإن كان فلن يعذبني هذا الضمير إلا يوم أو يومين، ثم ينتهي كل شيء ولا يبقى له أثر في قلبي. أما أن يكشف أمري أمام الناس ورجال الأمن، فذلك أمر كنت أراه بعيداً عني وهذا هو شعور كل لص قبل أن يرتكب جريمته. وعلى هذا الأساس وبناءً على حاجتي الماسة للمادة، فكرت في كيفية الحصول عليه بأسهل وأيسر الطرق من دون تعب كوني امرأة ولكن كيف؟ إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تلقيت فيه دعوة لزواج صديقة لي بالدراسة. فذهبت في اليوم الموعود وفكرة الحصول على المال بطرق ملتوية تراودني، بل وتسيطر على

(*) جريدة الهدف الكويتية، العدد: ١٨٦٧.

تفكيري. وعندما دخلت الصالة أقول بصراحة، وجدت الذهب والألماس من كثرته كأنه ملقىً على الأرض. وبحاجة إلى من يأخذه فلقد رأيت النساء تتزين بذلك المعدن الثمين، وبكثرة، فهو (الذهب) في أياديهن ورقابهن وفوق رؤوسهن وحتى في أرجلهن. وهنا شعرت أن دوري يقتضي أن آخذ هذا الذهب. وتلك هي الفرصة الثمينة التي كنت أبحث عنها. وفي الوقت نفسه كان صوت الأغاني والرقص يساعداني على إتمام جريمتي. والنساء مشغولات، فلا يعلمن عن ذهبهن وعن بناتهن الصغيرات شيئاً، فلقد تركنهن يسرحن ويركضن في أطراف الصالة والذهب معلق في رقابهن وأياديهن الصغيرة.

وهنا برزت الفكرة في بالي وبوضوح، وقلت في نفسي: ما يمنع أن أجرب حظي وأسرق هذه المرة ولو بإسورة أو حتى خاتم صغير ولكن استوقفتني عقبة صغيرة وهي كيف؟ ولكن سرعان ما اهتديت إلى فكرة جهنمية فجريت مسرعة من الصالة إلى أقرب بقالة، واشتريت بعض الحلويات والشكولاتة التي يحبها الأطفال الصغار. وقصدي من ذلك هو اصطيادهن وإغرائهن بهذا الطعم وفعلاً، نجحت الفكرة وأقبلت إحداهن ويقيني أنها لم تتجاوز السنوات الأربع من عمرها وهي تلبس من الذهب والحلي الشيء الكثير فدنوت منها وقلت في نفسي، هذه هي الفريسة، وتلك هي الضحية، فشاغلتها وأشغلتها بالكلام، وأعطيتها قطعة من الحلوى. وبهذه الطريقة استطعت أن أنزع الأساور من يدها الصغيرة، وخرجت مسرعة من الصالة. ولكني أقول الحقيقة أنه في تلك الليلة شعرت بعذاب الضمير إلا أني كنت سعيدة بالغنيمة وتلك السرقة الصغيرة، فبعتها وحصلت على ثمنها.

وعلى هذا الأساس وذلك النجاح قررت تكرار التجربة مرة ثانية، شريطة أن

أضع النقاب على وجهي حتى لا يتعرف علي أحد، وأدخل صالات الأعراس مع الداخلين وكأني مدعوة أو كأني منهم. وهكذا كررت التجربة مرات كثيرة وطوال سنة كاملة وهي سنة ٢٠٠٣م حيث كنت مشغولة طوال الأسبوع بالتردد على حفلات الزواج. حيث كان الرزق وفيراً. إلى أن جاءت ليلة ودخلت إحدى الصالات، وجلست أبحث عن فريسة في أركان الصالة فوجدتها جالسة بعيداً، وكأنها لا تشارك بالفرحة فانتهزت الفرصة، وقلت في نفسي تلك هي الفريسة، وها هي الغنيمة. فتوجهت إليها بخطوات مسرعة وأنا ابتسم لها ابتسامة عريضة، والطعم كان في يدي، وهو بعض من الحلوى التي يستميت الأطفال على أكلها فدنوت منها وقلت: ما اسمك يا حلوة؟ فقالت: (شعاع)، قلت والسنة الدراسية قالت: رابعة ابتدائي. وناجحة بامتياز. فقلت: لها اقتربي لأهنئك وأقبل رأسك وأعطيك هذه الحلوة فأنت حلوة، وتستحقين كل الخير فاقتربت المسكينة ببراءة الأطفال مني. وفي تلك اللحظة كانت يدي اليمنى تمتد لتلتف حول رقبتها لأفتح العقد، فشعرت هي وأوجست في نفسها خوفاً، وكأنها علمت مرادي وقصدي فقالت لي: لا تسرقي العقد مني فأنا يتيمة، ولن يشتري لي أحد غيره. فسحبت يدي منبهرة من كلامها، ولكن كوني إنسانة تجردت من الدين والأخلاق ومات ضميرها. فلقد قررت معاودة المحاولة مرة أخرى، ولا أخرج من هذه الحفلة خالية اليدين فقلت لها: لا تخافي يا ابنتي فقط أحب أن أرى هذا العقد الذي تتزينين به، لأنه جميل وحتى أشتري لابنتي واحد مثله. فاقتربت مني وصدقتني ونزعته ثم ناولتني إياه وناولتها قطعة الحلوى. فانشغلت هي بها، فخرجت أنا من الصالة مسرعة متوجهة إلى سيارتي. ووصلت البيت وعندما استلقيت على فراشي شعرت وللمرة الأولى بوخز الضمير بل ولقد كان جبيني يتصبب عرقاً. وحتى دقات قلبي هي الأخرى

تزايدت وشعرت بخوف شديد وحاولت أن أغمض عيني لأنام. وما هي إلا سويعات، وإذا بشعاع تأتيني في المنام وهي تبكي، وتقول: (أين عقدي فلقد ضربني أبي ضرباً مبرحاً، وانظري إلى جسدي فتلك هي آثار الضرب واضحة عليه. فأرجوك أرجعيه) إلي فنهضت من نومي فزعة أتلفت يميناً ويساراً، لأني لم أستبعد بأن تكون تلك الطفلة معي في غرفتي. وعليه وبناء على ما شعرت به وما عانيته فقررت التوقف عن ممارسة نشاطي ولو لفترة محدودة حتى أرتاح. لكن (شعاع) جاءتني بعد يومين في الحلم مرة ثانية، وكررت على مسامعي ما كررته في المرة الأولى وهنا فقط شعرت بفداحة الجرم الذي ارتكبته وقررت التوبة والتوقف عن سرقة ذهب الأطفال بالأعراس. وبسبب تلك اليتيمة فقط قررت التوبة النصوح والرجوع إلى الله وذلك عندما وقفت بين يديه سبحانه وللمرة الأولى أصلي، وأطلب العفو والمغفرة والصفح منه. وما زلت على ذلك الطريق وأرجو أن أظل عليه إلى أن يتوفاني الله في يوم من الأيام.

رغم مرور مدة طويلة على آخر سرقة وعلى آخر حلم بتلك الطفلة، إلا أن صورتها ما زالت في ذهني وتأتيني في الحلم ولو في الشهر مرة. وفي الوقت نفسه فإني ما تركت مكاناً ذهبت إليه إلا وتفحصت وجوه الأطفال فلعل أن تكون شعاع بينهم فأعطيها العقد الذي سرقته. منها لأني ما زلت أحتفظ به. وفي الوقت نفسه فما زال ضميري يعذبني منذ ذلك الوقت. وعليه فلن يهدأ لي بال، أو أن أعيش في سعادة، إلى أن أجدها وأعطيها عقدها الذي سرقته منها في يوم من الأيام. فأرجو أن يكون ذلك اليوم بل وتلك اللحظة التي ألتقي فيها شعاع قريبة جداً.

ضياع*

كتبت تقول حائرة:

كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما تقدم لخطبتي رجل عجوز في الثمانين من العمر. كان أخي الوحيد يعمل لديه، حدثني أخي عنه وعن ثرائه وكيف أنني سأعيش عيشة الملوك إن تزوجته. لقد اعتنى بي أخي وتحمل مسئوليتي عندما توفى والدي وحرم نفسه من متع كثيرة من أجل أن يبقى معي طوال الوقت ويرعاني، كنت أفكر بأن أخلصه من مسئوليتي ليعيش حياته كما يريد ويتمتع بشبابه بعيداً عن مسئوليتي، لذلك فقد اتخذت قراري بنفسي فوافقت على الارتباط بذلك العجوز وقلت في نفسي: سنوات قليلة وسأصبح أرملة ثرية وسأبدأ حياتي من جديد.

كانت هذه هي الصفقة الخاسرة الأولى التي قبلت بها في حياتي، فبعد أن تم الزواج اكتشفت بأن هذا العجوز الغني بخيل إلى حد كبير. وأنني حكمت على نفسي بالعيش سجينة إحدى الغرف في بيته الكبير مع أولاده الذين لم أستطع يوماً حصر عددهم وقد كانوا حصيلة زيجات وطلاقات متعددة لهذا الرجل، لم يبق على ذمته سوى عجوز واحدة هي ابنة عمه التي تزوجها في أول حياته، وقد امتنعت من الهرب من بيته بسبب إصابتها بشلل أقعدها مجبرة في منزله، وهي لا تملك سوى لساناً طويلاً كلسان الأفعى تلسع به من يقترب من جحرها.

حملت بطفلي الوحيد بعد سنة واحدة من الزواج، وكان هذا الحمل هو ما دفعني للاحتمال والصبر وعدم الاعتراض على حياتي التعيسة الكئيبة التي عشتها في ذلك

(*) جريدة الطب والأسرة، العدد: ٦٢.

المنزل، والسبب الآخر هو أن أخي قد وجد عملاً في مكان بعيد وتزوج هناك واستقر، ولا أريد أن أنكد عليه حياته بعد أن تحرر من مسئوليتي والتفت إلى نفسه.

كنت أدعو ربي ليلاً ونهاراً بأن يخلصني من هذا العجوز وأن يختاره إلى جواره لكي أنعم ببعض الإرث الذي سنحصل عليه أنا ووليدي. أجمل أيام عمري ضاعت وأنا أعيش بحزن وألم وحسرة منتظرة أن يتحقق أملي الوحيد بأن لا أخرج من هذه الصفقة بخسارة كاملة، وأن أرث المال الذي سيعوضني عن سعادتي وشبابي الذي أفنيته مع هذا العجوز.

طال انتظاري ومرت السنين ولم يتحقق ذلك الأمل وأصبح العجوز أكثر شراسة وبخلاً. بلغ ابني سن المدرسة وهو يحتاج إلى مصاريف لكي يبدو أمام زملائه بصورة جيدة. لذلك قررت أن أعمل لأعيل ولدي، رفض العجوز تلك الفكرة فطالبته بالطلاق لأتحرر من سجني وطوقي البغيض، فعلت المستحيل ولكن دون جدوى، وقد ساعدني أخي كثيراً بعد أن شعر بأنه المسئول عما حدث لي، ولكن ذلك العجوز رفض أن يطلقني. وكلما حاولت أن أعمل في مكان ما، فإنه يستغل نفوذه لطردي من العمل. بعد أن أحسست بأنني وابني أصبحنا نشكل عبئاً على عائلة أخي، وبأنه لا فائدة من العناد رضيت بالعودة لزوجي بعد أن وعدني باستئجار مسكن مستقل لي، بعيداً عن ذلك المنزل الكريه، الذي لم أجد فيه يوماً أية خصوصية أو راحة من أعين الفضول التي يتمتع بها أبناؤه وبناته العديدون.

استمر الحال هكذا حتى وصلت إلى سن الثلاثين، عندها تحقق لي ما أردت وتوفى العجوز بعد أن أستهلك خمس عشرة سنة من سنوات عمري التي عشتها

تحت القهر والحرمان المادي والمعنوي، عندها فقط أشرقت الشمس في حياتي المظلمة وقضيت العدة الكئيبة وأنا أحلم بأنني سأحقق جميع أحلامي وأحلام ولدي الغالي. وفعلاً فقد كان إرثي طيباً أخذت أنفق الكثير منه على شراء ما تمنيته، واشتريت بيتاً جميلاً وسيارة فارهة وأثاثاً راقياً. والكثير من الذهب والألماس والملابس وكل ما حرمت منه في حياتي الماضية.

بعد أن أشبعت رغباتي الشرائية، أصبح هاجسي هو تعويض نفسي عن الحرمان العاطفي، الذي عشته وانطلقت بأحلامي للبحث عن الرجل الذي سيعوضني عما افتقدته طوال عمري، خصوصاً وأنني في الثلاثين من عمري وأمتلك جمالاً وجاذبية أحسد عليهما تقدم لي الكثيرون ولكنني رفضتهم فقد قررت أن أكون دقيقة في اختياري وحددت شروطاً كثيرة لمن سأرتبط به، وعلى رأس تلك الشروط أن أختاره عن حب وقناعة.

بعد سنة واحدة من وفاة زوجي تعرفت عليه، كان رجلاً رائعاً بكل المقاييس وله شخصية رائعة ويمتلك مركزاً مرموقاً ويتمتع بجاذبية وقدرة على التأثير بكل من يتعرف عليه، إنه بصراحة حلمي الذي بحثت عنه وظل يراودني طوال عمري.

خفق قلبي بمجرد رؤيته، وصرت اختلق الأسباب التي تجعلني التقي به، وتمنيت أن يجد في نفسه ما أجده في نفسي نحوه، وقد تحقق ما أدرت، وأخذ الرجل يتابعني ويهتم بي، واستطاع أن يحصل على رقم هاتفي، وصار يحدثني عن شوقه وإحساسه بأنني المرأة التي انتظرها، وكان يبحث عنها طوال حياته. وأنه لم يشعر بالحب يوماً على الرغم من كونه في الأربعين من العمر. وأنه يعتقد بأن هذا الحب هو نعمة من الله تعالى لكلينا ويجب ألا نضيعها، ثم عرض علي الزواج، ولكن علمت منه بأنه

محكوم بظروف قاهرة ويتمنى أن امتلك القدرة على تقدير وفهم تلك الظروف وهي أنه رجل متزوج ولديه بنات وأبناء في مختلف الأعمار من سن الروضة إلى سن الجامعة، وهو يحترم زوجته شريكة عمره التي وقفت إلى جانبه وهي تتحمل مسئولية تربية أبنائه لذلك فهو يحترمها ويقدرها ولا بريد أن يجرح مشاعرها بزواجه من غيرها، كما لا يريد لأبنائه وبناته أن يعيشوا الإحساس بعدم الاستقرار، وألا تهتز صورة أبيهم إذا عرض حياتهم الأسرية لهزة عنيفة، فهو في نظرهم الأب المخلص المتفاني من أجل أسرته.

اشترط للارتباط بي أن يبقى زواجنا سراً لا يعرفه أحد سوى أخي وبعض المقربين مني. لم أفكر طويلاً لخيبتي وسوء تقديري لأنني كنت عطشى للحب والعاطفة، ولا أنكر أن هذا الرجل قد امتلك قلبي ومشاعري بشكل غير مقدور عليه. لذلك فقد رضيت بعقد هذه الصفقة الخاسرة الأخرى في حياتي، ووافقت على أن نتزوج بشكل غير علني ووافقته على عدم الإنجاب وعدم المطالبة بأية أمور يمكنها أن تعلن هذا الزواج.

تزوجنا وعشت الحب الذي حرمت منه وقد غمرني زوجي بالحب والهدايا والمال والاهتمام، وكل ما كنت احتاجه، وعامل ولدي كابنه تماماً، وكنت في أسعد حال.. ولكن السنين تمر وقد نمت بداخلي الرغبة في إنجاب طفل أحتضنه وأحس بأمومتي معه، فرفض وقال: إن حملت دون علمي فلن أسجل الولد باسمي، ولن أضيف اسمه إلى خلاصة القيد. لأن ذلك قد يفضح مسألة زواجي بك، وأنا قد اشترط عليك ذلك وأنت قبلت.

بدأت أنظر إلى حياتي مع هذا الرجل فوجدت بأنني أعيش معه كخليلة وليست

لي حقوق الزوجة، وأنه يرفض أن يخرج معي أو يصحبني إلى الطبيب أو إلى أي جهة حكومية. لاستخراج أية أوراق. وبقيت بنظر القانون امرأة مطلقة غير متزوجة، لأنه يرفض إدخالي في خلاصة قيده، وعندما يكون معي فإنه وبمجرد أن تتصل به زوجته أو أحد أبنائه فإنه يتركني ويهرول نحوهم متناسياً وجودي، وهو يمنعني من الاتصال به حتى لو تعرضت لمرض أو حادث حتى لا يحرج أمام أسرته أو أصدقائه أو زملاء العمل، حرصاً على عدم علم زوجته بزواجنا، وهو يأتيني كلما سنحت له الظروف بشكل متخف ولا يبقى سوى وقتٍ قصيرٍ ثم ينصرف عني، وهو يردد لا تتصلي بي أرجوك.

أخذ زوجته وسافر إلى لندن لعلاجها وبقي هناك ثلاثة أشهر بدون أن يكلف نفسه مشقة الاتصال بي والاطمئنان علي وكأنني لا أملك أية حقوق عنده، ندمت.. ندمت. ندمت على هذه الصفقة الخاسرة التي عقدتها وهاأنا ذى أعاني من حرمان أكبر، حرمان نفسي وعاطفي مع رجل لا أملك من حياته إلا الظل.

كبر ولدي وأصبح في الثانوية وهو يحس بإحراج كبير عندما يسأله أصحابه من أبناء الجيران عن ذلك الرجل الذي يزورنا بشكل متقطع وهو ماهر بإخفاء سيارته خلف المنزل لئلا يراه أحد. ويكفي وجهه تماماً عند دخوله المنزل وكأنه جاء ليسرق شيئاً. فيرد عليهم بأنه زوج أمي وهو متزوج ولا يريد أن تعلم زوجته بأمر زواجه الثاني. فيجلس الأولاد ليتندروا ويضحكوا على هذا الأمر وهم لا يدرون ما يسببه ذلك من إحراج لهذا المسكين. لقد أصبح معقداً جداً ولا يحب الاختلاط بالناس، وهو يجلس إلى جانبي طوال الوقت يحس بما أعانيه ويتألم لأجلي ويسألني باستمرار لماذا قبلت بهذا الزواج؟ فلا أستطيع أن أرد عليه وأكتفي بترديد هذه العبارة بداخلي (أمك غبية فقد باعت نفسها مرتين).

الزائرة الفاتنة! *

لم أدرك حين كنت أدرس في مدارس التعليم العام أن الواقع الذي نعيشه غير المنهج الذي ندرسه، فقد درست وتعلمت بل كنتُ متفوقة في دراستي.. تعلمت وأدركت عظمة الخالق عز وجل وكيفية إخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بالقضاء والقدر بل والرضا بما قدرَّه الله تعالى..

مرت السنون وتزوجتُ رجلاً عشتُ معه سنين جميلة، أنجبت فيها ابنتي الأولى ثم الثانية والثالثة تباعاً، ففي كل عام تستقبل الأسرة مولودة وكنت خلالها أرقب في عيني زوجي رغبته الملحَّة في إنجاب ذكر يحمل اسمه، وكأن الاسم لابد أن يحمله آخر غيرك!!

تغير زوجي وبدأ يتعامل معي بأسلوب ينقصه الحب والاحترام عندما أنجبتُ ابنتي الرابعة، وكانت آية في الجمال! كبرت فكانت صورتها تحكي كل معاني البراءة والطهر..

في العام الرابع عشر لزواجنا حملت للمرة الثامنة وابنتي السابعة لم تبلغ شهرها الثالث بعدا! وعصفت بي أمراضٌ كثيرة كان الضغط والسكر أبرزها عدا هشاشة العظام التي زارتني باكراً وعمري لم يتجاوز أربعاً وثلاثين سنة، وعدا عن كون رحلة الحمل هذه وهناً على وهن فقد تحولت لرحله عذاب نفسي وتهديد دائم من زوجي الذي ازداد جبروتاً وغلظة في التعامل معي ومع بناتي السبع على الرغم من أن الله قد أنعم عليه بنعمة الصحة والمال إلا أنه يضيّق الخناق علينا! وبرغم كوني

(*) مجلة الأسرة العدد ١٥٢ – ذو الحجة ١٤٢٦هـ

امرأة عاملة وأصرف مرتبي كاملاً على بناتي وبيتي إلا أننا نوشك أن نُعَدّ من الفقراء!!

ثقُل الحمل في الأشهر الأخيرة وصاحبته الأمراض فسقطت بعض أسناني وأصابها التسوس من جراء نقص الكالسيوم الذي استهلكته خلال الحمل المتواصل لعدة سنوات، كما ضعف نظري كثيراً، وتحول لون شعري إلى اللون الرمادي كحياتي! بل هو أفتح منها قليلاً!! لم أعترض قط على ما وهبني الله من البنات، فقد كنت أمارس حياتي كأم وصديقة لبناتي! بل إنني كثيراً ما أحمد الله على ما وهبني من نعمة الإنجاب أولاً ثم ممارسة الأمومة ثانياً، وتبقى ثالثاً ورابعاً المتعة التي أجدها في الحديث معهن حين ينقلن لي أخبار المدرسة وأحاديث صديقاتهن ومداعباتهن لمعلماتهن فقد وهبهن الله خفة في الدم وجمالاً في الروح!

وما كنت لدينا حين نتحلق ونضع القهوة والحلا مساءً ونجتمع سوياً لا يقطع حديثنا إلا صراخ إحدى الصغيرات وقد أغلقت أختها دونها باباً أو تشاجرت معها بسبب لعبة!! وان كان الناس يؤلفون ويروون الطرف والنكت فنحن نعايشها يومياً!

تستطيع حينما ترى حياتنا أن تنعتها بالانبساط ولكنك أبداً لن تصفنا بالسعداء! فنحن وإن كنا (أنا والبنات) في حالة سرور إلا أنه ما أن يحضر (السيد) إلا وتجد البنات يتقافزن متفرقات هلعات فهو على الدوام عابس مكفهر متبرم ناقم.. عجباً.. كيف ينقم على نعمة؟!

اقترب موعد الولادة، وبدأ التوتر يظهر في أجواء الأسرة.. شعرت البنات بناقوس الخطر يدق في أركان بيتنا من جراء تهديد والدهنّ لي بالطلاق تارة

وبالزواج من ثانية تارة أخرى، بل وتعدى الأمر إلى التهديد بالطرد من المنزل إن أنجبت بنتاً!! وعاشت البنات في قلق ونقلن معاناتهن لصديقاتهن في المدرسة وامتد ذلك القلق لأسرهن إشفاقاً علي وضعنا!!

وحين حلّت الامتحانات.. كنت في الأيام الأخيرة من الحمل و.. أخيراً وضعت..

وضعتها أنثى.. الثامنة، جميلة، بل فاتنة.. سليمة من العاهات.. وحين علم زوجي بذلك لم يتمالك نفسه فخرج من المستشفى غاضباً ساخطاً وترك بناته في مدارسهن ينتظرنه للعودة للمنزل بعد انتهاء الامتحان، وتركني أعانى آلام الوضع والحيرة..

وأخيراً عادت البنات بصحبة إحدى المعلمات، بينما أنا في المستشفى أرقب عودته لتسجيل الصغيرة وإثبات ولادتها حيث لا توجد معي أوراق رسمية! ورجع زوجي بعد يومين وأعادني إلى منزلي بعد إنهاء الإجراءات، وكان يشتم ويسب، وكنت أصبر وأحتسب!

عدت إلى منزلي فأورقت أغصان البنات واستأنفن المذاكرة فكلهن متفوقات دراسياً ولكن القلق أخذ يساورني على مستقبلهن، إلا أنني عدت إلى المنهج الرباني مؤمنة بالقضاء والقدر، والرضا به..

تستكمل السيدة الصابرة حديثها وتقول: (لم يكن وجود طفل صغير في المنزل شيئاً مستغرباً فنحن ما نكاد نودع السنة الأولى من حياته إلا ونستقبل طفلاً آخر! لم نصل بالطبع إلى تكوين فريق كفريق كرة القدم فلا زلنا بحاجة لمدافع أو أكثر.. أما المهاجم فمتواجد طوال الوقت يسجل أهدافاً موجعة على فريقه!! ومرت السنون

وكبرت (سلوى) المسخوط عليها!!

فصارت تستقبل والدها.. ترفع شماغه عن رأسه.. تداعبه.. تقبّل يده، ولكنه يقابل ذلك اللطف بجفاء وغلظة، وكثيراً ما يعنفها، ويتمتم بكلماتٍ ساخطة ومكررة: (الله لا يكثركن عند الصديق)!! وإن كان من المعتاد أن يكون الأب الذي لديه بنات أكثر لطفاً وحناناً ممن لديه ذكور إلا أن هذا الأب لم يستشعر الأجر لمن يعيل ابنتين فكيف بثمان؟! ولم يستمتع قط بهذا الجو الأسري الآسر وبلطف بناته وحنانهن! ولم يُقدّر كونه أباً ومسئولا عن أسرته حين أحال حياة الأسرة إلى قلقٍ وتوتر، عدا اضطهاد زوجته بالتهكم بلفظ (أم البنات) وكأنها وصمة عار!! ومع ذلك كنا نقنع أنفسنا بأن حياتنا ممتعة.. جميلة!!

وجود (سلوى) في منزلنا أضفى على حياتنا الهدوء النسبي والدعة، فقد كبرت البنات واستكملن دراستهن في تخصصات مختلفة.. أما (سلوى) ففي الصف الثالث الثانوي، وهي الصغرى حيث لم أنجب بعدها لأن زوجي كف عن المطالبة! بعد أن اعترته أمراض مختلفة فلم يعد يفكر بإنجاب المزيد! فضلاً عن أن صحتي لا تسعفني لمواصلة الإنجاب. ولم ينفذ زوجي تهديداته وانغمس في العمل التجاري وجمع الأموال!!

وقلّت حدته وأصبح هادئاً بعد أن تكالبت عليه الأسقام، وأصيب بمرض يستدعي نقل مادة من النخاع الشوكي حيث توقف عن الحركة تماماً، وكثرت مراجعاته للمستشفى فتقاعدتُ عن العمل لأصحبه عند كل مراجعة. واستدعى الأمر التبرع له من أحد أقاربه فذهبنا جميعاً للمستشفى لعمل اختبار لمعرفة مدى ملائمة السائل لجسمه..

وكانت.. (سلوى) هي التي أثبتت الاختبارات والتحاليل مطابقتها تماماً للمطلوب!! وخضعت لعملية نقل جزء من النخاع لإنقاذ والدها..

باقٍ من الحزن أضعاف الذي ذهبا ** لا الجوع دهرٌ ولا كلّ الفصول صبا

وحيث لم تكن (سلوى) من أهل الدنيا.. فقد فارقت الحياة بعد إجراء العملية!!

غادرت الدنيا، بصراعاتها، وآلامها، وقلقها..

تركتها لنا ورحلت.. بعد أن أودعت في كبدي وسماً من الألم لا ينمحي.. وفي قلبي جرحاً لا يندمل.. وفي عيني دمعة متجمدة!! حين كنت أراها بين أخواتها تتفجر نشاطاً وحركة، وتضج حيوية وإقبالاً على الدنيا بجمالها الأخّاذ وذكائها الوقّاد عدا عن تفوقها الدراسي وقدرتها على التعامل الرائع مع والدها ومعي ومع الناس.. حين كنت أرقبها وهي كذلك ينقبض قلبي.. ويراودني إحساس قديم لا يكذب!! بل يتجدد!! .. كنت أدرك أنها ليست الثامنة بل.. الزائرة!!

جاءت.. لتوقف تيار الألم، وتزرع الأمل، وتلون حياتي بالتفاؤل..

جاءت.. وكأن قدومها هبة من الله لوالدها لتستمر به الحياة. وهو (الساخط) على مجيئها.

جاءت.. لتمسح شقاء السنين..

ورحلت.. لتجعلني أعاني لوحدي الشقاء والبؤس بدونها!!

جاءت (سلوى) لحكمة..

ورحلت لعبرة!!

ضيعتني مكالمة!! *

إنه كاذب مخادع، لا يستحق مني إلا الازدراء استغل حبي له وانجذابي نحوه ولطخ سمعتي وشهر بأسرتي وأثار الشبهات في كل جانب من حياتي.

تكفكف (فوزية) وهي فتاة في عمر الزهور، ينسكب دمعها الساخن وتقول بصوت هامس أقرب إلى النحيب: اكتبوا قصتي على لساني حتى تتعظ كل غافلة وتفهم الدرس كل شاردة من تقاليدها ومبادئ أسرتها.

تخرجت فوزية من الثانوية العامة، لم تدخل الجامعة لأسباب كثيرة. إلا أنها عوضت تعثر الدخول إلى ساحات الجامعات الفسيحة، بأمل دغدغ حواسها وعواطفها مثل أية فتاة في سنها، كانت آمال وأحلام فوزية تكبر كل يوم أن تكون زوجة وأماً لأطفال. ترعى بيتها.. وتحضن صغارها. ربما استعاضت عن الجامعة بأحلامها الكبيرة والصغيرة. لم يكن يشغلها غير اتساع طموحها كل يوم.. بل في كل ساعة ولحظة وفجأة.. دخل شاب في حياتها.

تقول فوزية وقد استعادت رباطة جأشها وكأنها تصرخ ليسمعها جميع من في آذانهم صمم.

تعرفت عليه من خلال الهاتف. أوصلتني به شقيقته. وتربطني بها صداقة عمر وذكريات صبا. فاجأتني ذات مساء ونحن نتجاذب أطراف الحديث عبر الهاتف.

- قالت: ما رأيك في أخي؟

(*) جريدة عكاظ/ العدد: ١٣٣٨٣- الصادرة في يوم: الجمعة ١٦/ صفر/ ١٤٢٤هـ.

- قلت: ماله.. إنه إنسان طيب مثلك تماماً.

- قالت: لا أقصد ذلك بالتحديد.

- قلت: وماذا تقصدين؟

- قالت بجرأة: ماذا لو تقدم لخطبتك.

- صرخت فوزية: لا.. لا.. يا صديقتي ليس بعد، أنا في بداية الطريق ولا أود التعجل في هذا. شعرت بنبرة أسى في صوت صديقتي.. يبدو أنها عاتبة عليّ.. ياه لقد أغضبت صديقة عمري، أكملنا المحادثة في ذلك المساء، وجلست أفكر لوحدي، تبعثرت الأفكار، وصرت مثل السفينة التي تتلاطمها الأمواج يمنة ويسرة.. أصارحكم القول: مشاعري لا توصف، ها قد جاءني عريس.

بعد أيام عاودت صديقة العمر لتجدد الطلب من جديد، وخارت مقاومتي أمام طموحي في أن أكون أماً وزوجاً وصاحبة قرار ورأي.. وعدتها بالتفكير ولم يطل الانتظار.. لقد منحتها موافقتي بلا قيد أو شرط.

بدأت أحادثه ويحادثني عبر الهاتف لساعات طوال، صرت مأخوذة به وبحديثه المعسول، لم أسمع كلاماً حلواً مثل هذا في عمري.. يا حياتي! حبيبتي.

تطورت العلاقة بيننا، صرنا نرسم مستقبلنا وأيامنا القادمات في خيالاتنا الواسعة.. شكل عش الزوجية الذي سيحتوينا.. أطفالنا القادمون.. رحلاتنا التي لن تنتهي.. تقاسم العواطف.. الإيثار والتضحية.. ثم الصبر.

لم تمض مدة طويلة على هذا الحلم قررت أن أضع حداً لهذه العلاقة من جانبي لا تسألوني عن الأسباب.. فإذا عرف السبب بطل العجب.. تقول فوزية: حاول

أن يثنيني عن قراري ألح علـي ألا أسـارع بشـيء وأن أنتظـر إلا أنـني مضـيت في سبيلي.. (أنا لا أحبك أتركني لشأني).

مثل كل شاب أناني متغطـرس جـنّ جنونـه.. هـددني تحـول القـط الأليـف إلى حيوان مفترس خبيـث.. بـدأ في ابتـزازي بصـورة أهـديتها لـه، قـال إنـه سيبدأ في توزيعهـا لتشـويه سمعـتي إن لم أتراجـع عـن قـراري.. فـزادتني نذالتـه شـدة علـى موقفي.. ونفذ الخائن ابتزازه وتهديده، بعث بصورتي إلى والدي.. تصوروا!! .

كاد أبي أن يقتلني حاولت إقناعه بشتى الصور بكيت أمامـه.. اسمعـني يـا أبـي، أقسم لك أنني بريئة، هذا الوغد وعدني بالزواج ووافقتـه ثـم رفضـته.. لم يصـدقني أبي الحبيب لقد فقد ثقته فيّ إلى الأبد!! .

مازلت أعاني، أنا بين نارين؛ والد عزيز سـحب مـن تحـت قـدمي كـل عوامـل الثقة، وشاب خبيث أحمق مازال يتوعدني ويلاحقني باتصالاته المتكررة.. لـيسَ أنـا وحدي.. بل شقيقاتي بصورة أنتزعها مني بواسطة شقيقته.. لم يقف عند هذا الحد.. بل يمضي في ابتزازه وتهديده لي ولكل من حـولي بأنـه سـيلجأ للسـحر لاسـتلاب موافقتي للزواج منه.

أنا أموت كل يوم ألف مرة!! .

توبة مدرسة على يد إحدى طالباتها*

إن الاهتمام بالحجاب والمحافظة عليه هو الخطوة الأولى في طريق الالتزام والاستقامة بالنسبة للمرأة، ولستُ أعني بالحجاب حجاب العادة والتقليد الذي تلبسه المرأة فتزداد به فتنة في أعين ذئاب البشر، وإنما أعني الحجاب الشرعي الكامل الذي يُكسب المرأة احتراماً وتقديراً، كما قال تعالى عن نساء المؤمنين في آية الحجاب:﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ . فإذا رأى الناس المرأة المتحجبة الحجاب الشرعي الكامل، عرفوا أنها من النساء العفيفات، فلم يجرءوا على إيذائها والتعرض لها.

والقصة التي سأرويها لكم هي مثال رائع الفتيات هذا البلد المسلم.

تقول صاحبة القصة:

(وتعودت -في بلادي- أخرجُ بلا حجاب.. أرتدي الأزياء المتعارف عليها.. وأحرص على آخر خطوط الموضة.

شاء الله - عز وجل- أن أحضر إلى المملكة العربية السعودية بعقد عمل مع إحدى الجهات، وفي بداية عملي كان لابدّ من الالتزام بعادات البلد وتقاليدها، فلبست العباءة والغطاء [1]، وظللت على هذه الحال حتى جاء موعد سفري

(*) عكاظ العدد:٨٧٥٥.

(١) الحجاب ليس من العادات والتقاليد كما يعتقد البعض، وإنما هو أمر فرضه الله على نساء المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ . الآية.

لبلدي.

وفي المطار خلعت العباءة والحجاب، وفوجئت بإحدى طالباتي مسافرة معي لبدي لقضاء العطلة.

سعدت جداً برؤية طالبتي، وما إن سلّمت عليّ حتى فاجأتني بقولها:

(لم أتوقع -يا معلمتي- إنك لا ترتدين الحجاب، عكس ما كنت أراك فيه أثناء الدراسة..).

سألتها: لماذا تقولين هذا.. إنني حريصة على أداء واجباتي الدينية كالصلاة والصيام وعدم فعل أي منكر.

فأجابت: إن ما أنتِ عليه الآن هو عين المنكر.

شعرت في تلك اللحظة بالحرج من طالبتي التي لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها، وهي التي تنصحني وتوجهني إلى طريق الصواب.

حقيقة شعرت بضآلة وضعي، وتمنيت أن الأرض ابتلعتني من شدة خجلي من الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك اليوم قررت ارتداء الحجاب طاعةً لله سبحانه وتعالى وامتثالاً لأمره، وحفظاً لكرامتي ونفسي من عيون الأجانب.

فلله در هذه الطالبة النجيبة -بنت الستة عشرة ربيعاً- ما أروع ما صنعتْ، وإن المسلم ليفتخر بوجود أمثال هذه الفتاة المؤمنة في مجتمعه، ويضرع إلى المولى القدير -عز وجل- أن يحفظ نساء المسلمين وبناتهم من كل مفسد عميل وكل فكر دخيل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

توبة في السكن الجامعي*

تقول هذه التائبة:

ما أتعس الإنسان حينما يعيش في هذه الحياة بلا هدف، وما أشقاه حين يكون كالبهيمة، لا همّ له إلا أن يأكل ويشرب وينام دون أن يدرك سر وجوده في هذه الحياة.

لقد كان هذا هو حالي قبل أن يمنّ الله علي بالهداية، لقد عشتُ منذ نعومة أظفاري في بيت متدين، وبين أبوين متدينين ملتزمين، كانا هما الوحيدين الملتزمين من بين سائر الأقارب والمعارف، وكان بعض الأقارب يلومون والدي -رحمه الله- لأنه لا يُدخل بيته المجلات الهابطة وآلات اللهو والفساد، وينعتونه بالمتزمت والمعقد (!! !) بخلاف ذلك، كنت مسلمة بالوراثة فقط، بل كنت أكره الدين وأهله، وأكره الصلاة، وطوال أيام حياتي في المرحلة الدراسية المتوسطة والثانوية لم أكن أركع لله ركعة واحدة، وإذا سألني والدي: هل صليت؟ أقول: نعم.. كذباً ونفاقاً ولقد كان لرفيقات السوء دور كبير في فسادي وانحرافي حيث كنّ يوفرنَ لي كل ما أطلبه من مجلات هابطة وأغانٍ ماجنة وأشرطة خليعة دون علم والدي.

أما اللباس فكنت لا ألبس إلا القصير أو الضيق.. وكنت أتساهل بالحجاب وأتضايق منه، لأنني لم أكن أدرك الحكمة من مشروعيته.

ومضت الأيام وأنا على هذه الحال إلى أن تخرجت من المرحلة الثانوية،

(*) العائدون إلى الله جـ ٣.

واضطررتُ بعد التخرج إلى مغادرة القرية التي كنا نسكنها إلى الرياض لإكمال الدراسة الجامعية.

وفي السكن الجامعي، تعرفتُ على صديقات أخريات، فكنَّ يشجعنني على ما كنتُ عليه من المعاصي والذنوب، إلا أنهن كنَّ يقلن لي: (على الأقل صلي مثلنا ثم اعملي ما شئت من المعاصي).

ومن جهة أخرى كان هناك بعض الأخوات الملتزمات، كن دائماً يقدمن لي النصيحة، إلا أنهن لم يوقفن في نصحي بالحكمة والموعظة الحسنة، فكنتُ أزداد عناداً وإصراراً وبُعداً.

ولما أراد الله لي الهداية وفقني للانتقال إلى غرفة أخرى في السكن، ومن توفيق الله سبحانه أن رفيقاتي هذه المرة كنَّ من الأخوات المؤمنات الطيبات، وكن على خلق عظيم وأدب جم، وأسلوب حسن في النصيحة والدعوة، فكنَّ يقدمن لي النصيحة بطريقة جذابة، وأسلوب مرح، وطوال إقامتي معهن، لم أسمع منهن تأففاً أو كلاماً قبيحاً، بل كن يتبسمن لي، ويقدمن لي كل ما أحتاجه من مساعدة، وإذا رأينني أستمع إلى الموسيقى والغناء كن يظهرن لي انزعاجهن من ذلك ثم يخرجن من الغرفة دون أن يقلن لي شيئاً، فأشعر بالإحراج والخجل مما فعلت، وإذا عدنَ من الصلاة في مصلى السكن، كن يتفقدنني في الغرفة، ويبدين قلقهن لعدم حضوري الصلاة، فأشعر في قرارة نفسي أيضاً بالخجل والندم، فأنا لا أحافظ على الصلاة أصلاً حتى أصليها جماعة.

وفي أحد الأيام.. أخذتُ دوري في الإشراف على الوحدة وقد ارتفع صوت الغناء، جاءتني إحدى رفيقاتي في الغرفة، وقالتْ لي: ما هذا؟ لماذا لا تخفضي

الصوت، إنك الآن في موقع المسئولية فينبغي أن تكوني قدوة لغيرك.

فصارحتها بأنني أستمع إلى الأغاني وأحبها، فنظرت إليّ تلك الأخت وقالت: لا يا أختي، هذا خطأ، وعليك أن تختاري إما طريق الخير وأهله، أو طريق الشر وأهله، ولا يمكنك أن تسيري في طريقين في آن واحد.

عندها أفقت من غفلتي، وراجعت نفسي، وبدأت أستعرض في مخيلتي تلك النماذج الحية المخلصة، التي تطبق الإسلام وتسعى جاهدةً إلى نشره بسوائل وأساليب محببة.

فتبت إلى الله، وأعلنت توبتي، وعدت لى رشدي، وأنا الآن -ولله الحمد- من الداعيات إلى الله، ألقي الدروس والمحاضرات، وأؤكد على وجوب الدعوة، وأهمية سلوك الداعية في مواجهة الناس، كما أحذر جميع أخواتي من قرينات السوء.. والله الموفق.

توبة غواة القرية*

روى حسن أبو جعفر قال: كان لقمان الحبشي عبدا لرجل جاء به إلى السوق يبيعه قال فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان ما تصنع بي فيقول أصنع بك كذا وكذا قال حاجتي إليك أن لا تشتريني حتى جاء رجل فقال ما تصنع بي قال أصيرك بوابا على بابي قال أنت اشترني قال فاشتراه وجاء به إلى داره قال وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية وأراد أن يخرج إلى ضيعة له فقال له إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه فإذا خرجت فاغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه لا حتى أجئ قال فقلن له افتح الباب فأبى عليهن فشججنه فغسل الدم وجلس فلما قدم سيده لم يخبره ثم عاد مولاه بعد للخروج فقال إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه فلا تفتحن الباب فلما خرج خرجن إليه فقلن له افتح الباب فأبى فشججنه ورجعن فجلس فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشئ قال فقالت الكبيرة ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن قال فتابت فقالت الصغرى ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال هاتين وهذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت قال فقال غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منا فتابوا إلى الله عز وجل وكانوا عوابد أن القرية.

(*) أيها المعاكس قف / إعداد: القسم العلمي بدار الوطن.

البداية كانت الحجاب الفاضح والنهاية..!! !

لم يكن يدور، بخلدها أن الأمر سيؤول بها إلى هذا الحد، فقد كان الأمر مجرد عبث بسيط بعيد عن أعين الأهل.. كانت مطمئنة تماماً إلى أن أمرها لا يعلم به أحد!! حتى حانت ساعة الصفر ووقعت الكارثة!!

زهرة صغيرة ساذجة يبتسم المستقبل أمامها، وهي تقطع الطريق جيئةً وذهاباً من وإلى المدرسة. كانت تترك لحجابها العنان يذهب مع الهواء كيفما اتفق، ولنقابها الحرية في إظهار العينين. وبالطبع لم تكن في منأى عن أعين الذئاب البشرية التي تجوب الشوارع لاصطياد الظباء الساذجة الشاردة.

لم يطل الوقت طويلاً حتى سقط رقم هاتف أحدهم أمامها. فلم تتردد أبداً في التقاطه! تعرفت عليه فإذا هو شاب أعزب قد نأت به الديار بعيداً عن أهله، ويسكن وحده في الحي!

رمى حول صيده الثمين شباكه، وأخذ يغريها بالكلام المعسول، وبدأت العلاقة الآثمة تنمو وتكبر بينهما، ولم لا والفتاة لا رقيب عليها فهي من أسرة قد شتت شملها أبغض الحلال عند الله، وهدم أركانها الخلاف الدائم، فأصبحت الخيمة بلا عمود يحملها، وسقطت حبالها، فلا مودة ولا حنان يربطها.

ألح عليها أن يراها، وبعد طول تردد وافقت المسكينة. وليتها لم توافق، فقد سقطت فريسة سهلة في المصيدة بعد أن استدرجها الذئب إلى منزله ولم يتوان لحظة واحدة في ذبح عفتها بسكين الغدر وافتراسها!!

ومضت الأيام وهي حبلى بثمرة المعصية، تنتظر ساعة المخاض لتلد جنيناً

مشوهاً ملوثاً بدم العار، لا حياة فيه ولا روح!! وتكتشف الأم فتصرخ من هـول المفاجأة، فكيف لابنتها العذراء ذات الأربعة عشر ربيعاً أن تحمل وتلد؟!! !

أسرعت إلى الأب لتخبره وليتداركا الأمر ولكـن هيهـات، فالحمامـة قـد ذبحـت ودمها قـد سـال!! والنتيجـة إيـداع الـذئب السـجن. والفتـاة إحـدى دور الرعايـة الاجتماعية.. البداية كانت الحجاب الفاضح والنهاية..!! !

اعترافات طالبة! *

أستاذتي الكريمة:

ها أنا سأودع أيام الدراسة، ولكنني لن ألوح مودعة إياك، بل سأمد يدي إليكِ مستغيثة، راجية ألا تتركيني وحيدة، أتخبط في الظلمات، وتأكل قلبي الحسرات.

سأبوح لكِ بسري، وأشكو مأساتي، أحكي قصة عذابي وضياعي، وقصة صحوتي، سأحكيها صريحة، لأنني صادقة في التماس العون.

فاعذريني إن كنتُ جريئة في شكواي، إلى حد يخرجني عن دائرة الجرأة إلى شيء لا أحب أن أسميه.

ستقرئين صفحات سوداء شوهاء من صفحات عمري ما عدا الأسطر الأخيرة منها.. ستجدين كلماتها خُطت بدموع التوبة وحرقة الندم، عدت من دروب التائهين، صحوتُ من نومة الغافلين، ألم الصدمة صحاني وصوتك أعادني.

سأجيبك بصراحة، سأعرفك باسمي ورسمي، كما هو، وكما عرفه كل من حولي.

أنا (رشا) الآثمة.. أنا (رشا) المستهترة.. هذا ما قاله الناس عني، وعرفته حقيقة موحشة في ذاتي.

أنا الطالبة الكسولة الوقحة، أنا الطالبة الخمولة (رشا) أجلس دائماً في المقاعد الأخيرة منحنية الظهر مطأطئة الرأس، مختلية من أحزاني، أو سارحة مع أحلامي،

(*) مجلة النور / العدد: ٢٠٠.

أحلق، أسرحُ مع أحلام الوهم، لكنني في حصتك الدرسية، كنتُ أسقط من عالم الأحلام إلى عالم الحقيقة، لأنكِ تداهمين خلوتي دائماً، وتخترقين عالم أحلامي، تلقين عليه بضع كلمات، فتتهاوى جُدُره اللا معقولة فوق رأسي، وتغدو سراباً، وأعود إليكِ، أبقى معكِ كل الدرس، وأنت تجوبين ببصرك وبصيرتك بيننا، تنبهين كل طالبة شاردة، وتنشطين كل طالبة خمولة، تؤانسين كل طالبة منزوية بمداعبة لطيفة.

أما أنا فكنت كلما حط بصرك علي رفعت رأسي، وشددت ظهري، وخرجت من عالمي السحري. كنت معكِ معظم أوقاتي، بينما كنتُ منبوذة من معظم مدرساتي. منهن من تواصل تقريعي، ومنهن من تتحاشى الحديث معي، أو حتى النظر إلي، خوفاً من كلمة فظة أقولها، أو نظرةٍ وقحة أرسلها، وحدك أنتِ عاملتِ (رشا) الوقحة، ذات العينين الساخطتين الحائرتين على أنها طالبة، فأحببتك رغم حزمك، وأكبرتُ فيك صفاتٍ أنكرتها على نفسي.

أحببتك، رغم أن قلبي القفر ما كان يعرف الحب لأحد، كان قلباً مقفراً من كل الأحاسيس، إلا أحاسيس الكراهية والحقد والسخط على كل الناس.

أنا أعرف قلبكِ الذي عودته حب الناس يفر من لقاء القلوب الحاقدة، لكن دعيني ألتقيك لقاء الحاجة، حاجة الأرض العطشى لقطرات ماء.

فاسمحي لي أن أفضفض لكِ، واستمعي لحكايتي:

قبل سنوات كنت إنسانة ككل الناس، فتاة خلوقة، طالبة مهذبة، أنعم بحضن الأب وحنان الأم، وجو الأسرة، أمضي إلى مدرستي، تلاحقني توجيهات أبي، وملاحظات أمي، أهتم بدروسي أحترم مدرساتي، أحب أهلي وصديقاتي إلى أن

جاء اليوم المشئوم، يوم سافر أبي إلى موسكو، ليتاجر، ليجمع المزيد من المال.

كم حسبتُ لهذا اليوم، كم تهيبت مجيئه، ولما أزفت ساعة السفر لجأت إلى فراشي، أغرقتُ وسادتي بالدموع، وأغرقتُ نفسي في بحر من الحزن، تصنعت النوم، وما بي نعسة.

ما أقساها من لحظات ما أقسى لحظات الوداع، ولاسيما عندما لا يقول المودع إلى اللقاء في غدٍ أو بعد غد، أو في الأسبوع القادم، لم يقل أبي شيئاً من هذا القبيل، بل راح يبرر سفره في نقاش كان بينه وبين أمي.

- قالت أمي بلهجة حزينة: لقد أتعبتني بكثرة أسفارك، في كل سفر أقول: أسبوع ويمضي، شهر ويمضي، عساه أن يكون آخر سفر.. لكن سفرك هذا طويل ستغيب عنا سنة كاملة، كم ستكون أيامها طويلة وصعبة!

- قال أبي: بل ستكون أيامها أقسى وأطول عليّ، أنتِ هنا بين أولادك، أما أنا فسأكون هناك غريباً وحيداً.

وهبت أمي متشبثة بكلمات أبي، علها تثنيه عن عزمه، أو تقصر من طول غيبته:

- ما دام السفر شاقاً عليك، ومرهقاً لك، لماذا اخترته؟

- إنها متطلبات الحياة يا زوجتي، الحياة تطلب منا هذا، رغم كل هذا السعي لم ننل ما نريد!!

- إذن سنظل نلهث وراء متطلبات حتى نموت، أنا لا أريد منها كل هذا، أريدك بقربنا، أريدك قرب أولادك.

- لا تنسى أنك زوجة تاجر، وعليكِ أن تدفعي جزءاً من ثمن حياة الترف التي

تعيشينها.

قالت أمي بحرقة ورقة:

- هل ينبغي على زوجة التاجر أن تدفع ثمن زواجها منه بُعده وانشغاله عن بيته وأهله.

ارتفع صوت أبي قال بحدة:

- ماذا تقولين..؟ وهل أسعى إلا من أجل بيتي ومن أجلكِ؟

رن الجرس، كانت السيارة بانتظار أبي، وحمل أمتعته وقال كلمات الوداع على عجل:

- اهتمي بالأولاد يا زوجتي، ولا سيما بـ (رشا) صارت صبية، الأولاد أمانة في عنقكِ، حافظي على الأمانة.

- قالت أمي: لك ما تريد، لكن أرجوك ألا تترك أحداً يتدخل في شؤون بيتي، يكفينا منهم أن يوصلوا إلينا مواردنا المالية.

- قال أبي: لكِ ما تريدين، سأفعل.. سأتصل بهم من موسكو، وداعا.. وداعاً.. وأغلقت أمي الباب وراءه.

خرج أبي، وخرجت معه فرحةُ بيتنا، وتداعت أسواره، ذهب أبي وترك الأمانة في عنق أمي، أمانة خمسة أولاد أكبرهم أنا، ولم تكن أمي أهلاً لحمل الأمانة، فقد ناءت بالحمل فأردته من فوق عاتقها، وارتمت متهالكة على فراش المرض، صارت في غيبوبة شبه دائمة عن الدنيا، تصحو بضع ساعات في يومها وليلها.

فقد دمرها أبي.. أبي الذي طاب له المقام في موسكو، انتظرناه عاماً وعامين، تقلصت علاقته بنا مع مرور الأيام، ما عاد يتصل بنا، إذا ما اتصلنا به تهرب من الحديث معنا.

سمعنا أنه تزوج من امرأة روسية، سمعنا أنه وهب حياته للهوى، الشائعات كثرت حوله، ما أهمني منها أن أبي صار لغيرنا.

هنا كانت نقطة الانعطاف في مساري، وفكرت أن أنتقم من أبي لكن كيف؟ أبي كان يقول عني (رشا) الشقية، فلأكن مثلما قال سأسلك سلوكاً لن يرتضيه لي، وإن ارتضاه لنفسه.

من سيمنعني من هذا؟ أبي غائب، أمي مريضة، الأقارب لا علاقة لهم بنا.

انحسر ثوبي، وضاقت ملابسي صرت ألبسها لكشف مفاتني لا لسترها، وصار همي الأكبر أن أرى نظرات الإعجاب تلاحقني، بادلت النظرة بنظرة، والابتسامة بأعرض منها، والكلمة بجملة، التف الشباب حولي، منحتهم كؤوس الغرام بلا مقابل.

في بادئ الأمر راقت لي هذه الحياة، واستعذبتُ المسير في هذا الطريق، وحاولت أن أدل بعض صديقاتي عليه، نجحتُ أحياناً وفشلتُ كثيراً.

ثم ماذا بعد؟!

لا شيء سوى الخيبة، الشبان الذين منحتهم ودي رفضوني خطيبة، صديقاتي هربن مني على أنني جرثومة يخشين من فتكها، الأقارب جعلوا مني سيرة غواية وضلال.

تجرعتُ ما استعذبته في الأمس ذلاً وهواناً، صغاراً وحيرة، خرجت من طريقي إلى اللاشيء، لا.. لا ليتني خرجت إلى اللاشيء.. خرجت بحمل كبير من الهوان..

والضياع.. والوحشة.. آهٍ ما أظلم دروب التائهين! آهٍ من مرارة سؤر الكأس التي يعب منها الغافلون.. آهٍ من ظلم أبي.. الظلام يغرقني، المرارة تحرق كبدي.

لكن كلماته كانت شعاع نور اخترق دياجير نفسي، كانت قطرات ماءٍ أشعرتني بشدة ظمئي، كانت يوم ميلادٍ جديد لحياتي.

ففي ليلة ذلك اليوم – يوم مولدي – كنت جالسة إلى الهاتف، أقطع الوقت بحديث مع أحد الشبان، بعد أن نام إخوتي، وراحت أمي في غيبوبة، بعد أن تناولت القرص المهدئ.

كنت ليلتها مسرورة، أتكلم بصوت مرتفع، أضحك أغني، لم يكن في حديثي معه ما يُكتم.

فإذا ضحكت قال لي: ضحكتك أشبه بقرع الطبول.

وإذا غنيت قال لي: غناؤك أشبه بصوت الطاحون.

وإذا تحدثت قال لي: أحب الكلام المعسول.كان ينال من كل شيء في، يسخر مني، وكنت أتقبل منه كلامه على أنه مزاح، وهكذا بقيت في أخذ ورد معه، حتى لفت نظري دخان يتسرب من غرفة أمي، صرختُ، استنجدت: أمي تحترق أرجوك، أمي تحترق.

قال لي وربما كان مازحاً: إلى الجحيم، لا خير فيكِ ولا في أمك.

رميت السماعة، هرولتُ إلى غرفة أمي، رأيتها نائمة، وبقية سيجارة تحترق بين

أصابعها، والنار تلتهم طرف فراشها.

فتحت النوافذ والأبواب، صرخت: أنقذونا يا ناس، أمي تحترق، صرختُ حتى جفت لهاتي، لم أسمع سوى صدى صوتي، يتردد في الليل والظلام.

وهرع إلي أخوة صغار، هبوا من فراشهم مذعورين، وقد لاحت الصفرة في وجوهم، ولوى الذل رؤوسهم، نظروا برعب إلى أمي، ثم جرتْ أقدامهم الصغيرة إلى المطبخ، حملوا أوعية المياه، صبوها فوق فراش أمي.

عند هذا فتحت أمي عينيها، نظرت في وجوه أخوتي، وابتسمت، عاودني شعور لم أشعر به منذ زمن، شعور بالحاجة إلى أم تحميني، وتدفع عني الأقاويل، والشائعات، إلى أم ترشدني، فانكببت فوقها، وعانقتها، همست في أذنها: أحبك يا أمي أحبك، أحتاج إليكِ يا سر حياتي.

في هذه الليلة – ليلة ميلادي الجديد – لم تنم أمي، بقيت معها حتى الصباح حدثتها وحدثتني.. حدثتها بأحاديث شتى، معظمها سمعتها مني كان الحديث نسمة ندية في بيت كاد أن يحترق.

وجاء النهار بعد تلك الليلة الداجية العاصفة لملمت جراحاتي وجئت المدرسة، أنشد.. أنشد كلمة طيبة تطفئ أوار نفسي، وتشفي بعض ما فيَّ من آلام.

ابتدأ النهار بدرسكِ. في هذا الدرس استقبلت أول شعاع نور، سأذكرك بذلك، وما أظن أنكِ نسيت. لكني سأذكر ما جرى، استعذاباً لهذه الذكرى.

دخلتِ الفصل، وألقيت علينا التحية، ولأول مرة رددتها بأحسن منها، ثم ساد الفصل سكون عميق وسألتكِ إحدى زميلاتي: آنسة ما عنوان موضوعنا اليوم؟

قلتِ لها: ما دمت متعجلة على طرح الموضوع، ابدئي واقترحي علينا أنتِ وطرحت الطالبة عنوان موضوع وهو: (رصد ظاهرة سلبية تفشت في المجتمع).

ظهر لنا أن الموضوع راق لكِ، فألقيت أسئلة متنوعة علينا، وجاءت الإجابات متنوعة، بعضها سطحي، وبعضها وليد معاناة.

وجاءني صوتك ينادي، بلا استخفاف ولا امتهان (رشا) وقفت بسرعة ورفعت إليكِ رأسي المطرق.

- حدثيني يا (رشا) عن بعض الظواهر السلبية التي تؤلمك.

قذفت الجواب بسرعة:

- أنا كلي ظاهرة سلبية يا آنسة.

فسألتني وطيف ابتسامة على وجهك:

- ماذا يؤلمك من نفسك يا رشا؟

- أكره نفسي، أكره كآبتي، أكره انهزامي وانزوائي، أكره ضياعي، أكره سفر أبي، أكره أحلامي الكاذبة.

رأيت في عينك سحابتين توشكان أن تدمعاً وأنتِ تقولين لي:

- صه يا رشا، المؤمن لا يقول مثل هذا.

سرني أن أرى من يوشك أن يبكي لأجلي، ونزلت كلماتك ماء على النار الصاعدة، فأسكنتها، ورحت أستمع إلى حديثك بشغف.

الفتاة المؤمنة يا رشا لا تضيع، فالله سبحانه وتعالى، حدد لها طريق. الأمان

والفوز، فمشت فيه واثقة الخطى، لأنها تعرف نهاية الطريق، الله خلقنا وهو العارف بما يصلح لنا، فلا تغرنك دعوات الجاهلين.. المؤمن لا يستوحش ولا ينزوي.

وهنا قالت لكِ إحدى طالبات الفصل:

- كيف لا يستوحش المؤمن، ولا ينزوي، وهو يعيش مع أناس فسدت ذممهم وساء معشرهم!

أردفتِ أنتِ بنفس الهدوء والسكينة:

المؤمن يبدأ بإصلاح نفسه أولاً، فيكون قدوة لغيره في القول والسلوك، فإذا ما عاشر الناس، كان رحيماً بهم، مهتماً بشؤونهم، متسامحاً معهم، يدفع بالتي هي أحسن، فيغدو وعدوه ولياً حميماً، ولو فرضنا أنه عاش في وحشة من الخلطاء، فهو لا يستوحش لأنه يعيش بمعية الله.

المؤمن لا يكتئب ولا ييأس، فأمله موصول بالله، اقرعي باب الله، أدمني القرع عليه، باب الله لا يوصد في وجه من قصده.

المؤمن لا يندم على ما فات، ولا يترك آلام الماضي تهدد مستقبله، وتحول دونه ودون سبيل الفالحين أليس كذلك يا رشا؟؟

كانت كلماتك الهادئة الصادقة تنشر السكينة والرضى فوقنا جميعاً، تشيع في أرواحنا الأنس والعطر، تتسرب إلى ظلمات نفسي شعاع نور، ووميض أمل.. تنزلق ماء سلسلاً، تروي ظمأ روحي، تبعث الأمل والحياة في هشيم عمري الضائع.

وها أنا أقف على نهاية المرحلة الثانويـة، اسـتعد لامتحـان الشـهادة الثانويـة، بنفسية جديدة وأمل جديد وعزم جديد، بل بميلاد جديد، أمد إليكِ يدي، فمـدي يدكِ إلي ساعديني، ساعديني يا أستاذتي الكريمة، ولن أنسى لكِ جميـل صـنعكِ مـا حييتُ(١).

طالبتك المخلصة:

(رشا)

توبة فتاة عن الأزياء المحرمة*

إبراهيم الحازمي

الشابة تتأثر بمن حولها.. وخاصة الصديقة.. فكم من فتاة ارتقت مرتقاً جميلاً وعاشت عيشة حسنة.. وكان للقرينة والصديقة أثر في ذلك..

وكم من فتاة تحطمت أحلامها وحياتها.. بسبب قرينات السوء.. والمرء على دبن خليله (حديث صحيح رواه أبو داود والبيهقي).

وهذه القصة فيها عبر ودروس.. قصة فتاة تائبة عن الأزياء المحرمة..

تقول إحدى الأخوات تعرفت في فترة دراستي على إحدى الفتيات وكانت مثالاً يضرب في الأخلاق والجمال والاجتهاد، أيضاً إضافة إلى أن تمسكها بدينها كان شديداً لدرجة أنني كنت أفخر بها حقاً وأعتبرها المثل الأعلى للفتاة المسلمة.. وفي يوم من الأيام، ونحن نجلس في مطعم الجامعة، أتت فتاة لا نعرفها وجلست معنا على نفس الطاولة وبالرغم من أنها لم تعجبني من حيث كلامها وهيئتها، إلا أنني تقبلت الوضع لأعرف ما هو غرضها الذي جاءت من أجله، ولكنها أخذت تماطل في الحديث أولاً، ولم تأت بالموضوع مباشرة ثم قالت تخاطبنا، لم أنتما هكذا تبدوان وكأنكما نائمتان في هذا العالم؟! فلم أر يوماً واحدة منكما صبغت شعرها مثلاً أو لبست عدسة لتغير لون عينيها، وربما أصبحت أجمل، وأخذت تسترسل في حديثها هذا وكأنها شيطان ماكر..

(*) من كتاب التائبون إلى الله / الجزء الثاني

وما أن سمعتها تتحدث بهذه الطريقة حتى تركت لها الطاولة وشددت صديقتي لتأتي معي، ولكنها لم تعرني اهتماماً فتوجهت فوراً لقاعة المحاضرات بعد أن كدت أنفجر من الغضب من آرائها المسمومة، وما طرحت من أفكار ولا أعرف ما حل بصديقتي التي كانت تجلس معها.. وفي اليوم التالي وكعادتي ذهبت لحديقة الجامعة، وجلست على أحد المقاعد هناك ثم فتحت كتاباً لأقرأه حتى تنتهي من المحاضرة، وما أن مرت ساعة من الزمن إلا ورأيت جميع الفتيات يخرجن من القاعة واحدة تلو الأخرى، عندها سألت نفسي أين صديقتي؟! إنها ليست معهن! ترى هل هي غائبة؟! ولكنها لا تغيب إلا لسبب قاهر؟! ترى هل هي مريضة أم ماذا؟! وما أن خرجت آخر طالبة حتى سألتها أين صديقتي ولماذا لم تحضر معكن؟ فأجابت: إنني لم أرها اليوم بأكمله، أعتقد أنها غائبة فانزعجت كثيراً لأنني أعرف أن غيابها لا يكون لأمر سهل، فكرت قليلاً.. ثم نظرت إلى الساعة فوجدتها العاشرة تماماً، سرت متوجهة إلى بوابة الخروج لقد انتهى دوامي هذا اليوم.

وفي اليوم التالي.. تكرر نفس الشيء فانزعجت أكثر وظللت على هذا الحال أسبوعاً كاملاً لا أدري ما الذي حل بها منذ جلوسنا مع تلك الفتاة الشريرة.

وفي يوم السبت وبعد عطلة الأسبوع وأنا متوجهة لقاعة المحاضرة..

فوجئت بل اندهشت عندما رأيت صديقتي مع تلك الفتاة، وهي التي كانت لا تفارقني أبداً وعندما نظرت إليها فإذا شعرها الأسود الجميل قد قص إلى ما فوق رقبتها وصبغ بلون أصفر، فبدت وكأنها واحدة لا أعرفها بتاتاً،

عندها سألت نفسي.. أهذه صديقتي التي أعرفها! أهي تلك العاقلة التي يضرب بها المثل!! لا لا ربما ليست هي، فلم أتعود أن أرى صديقتي تضع سماعة المسجل

في أذنيها، لقد اختلفت تماماً، إنها تضع جميع أنواع وألوان المساحيق في وجهها وكأنها أتت لتحضر عرساً أو حفلة، وقد كانت من قبل تأتي لطلب العلم لا تهمها هذه الأشياء التافهة.

وعندما اقتربت مني قليلاً دهشت حقاً، بل كدت أقع على الأرض عندما رأيت تلك الرسمة الخليعة التي وضعت على بلوزتها التي والله يخجل الإنسان من النظر إليها، وحدثتني قائلة وبكل فخر وكل اعتزاز: أتعرفين أين كنت في الأسبوع الماضي؟ فلم أجبها، لأن لساني قد شل تقريباً عندما رأيت ذلك التغير المفاجئ الذي طرأ عليها.. فكررت عليَّ السؤال ثانية ولكنها لم تنتظر إجابتي وقالت: لقد كنت في إحدى دول أوروبا لأنني وجدت أن صديقتي (الفتاة الشريرة) معها الحق كل الحق فيما قالته فلن أكون متأخرة العقلية جاهلة لا أفهم شيئاً كما كنت سابقاً، لقد أصبحت الآن مواكبة لعصري متقدمة أتعرفين بلوزتي هذه.. إنها صيحة هذا العام.. وشعري هذا الذي ترينه صبغته وقصصته عند أشهر وأكبر محل (كوافير) في أوروبا. (تأملي رعاك الله كيف انقلبت عندها المفاهيم عندما اقترنت بأهل الشر).

فسألتها بكل دهشة ما الذي غيرك؟! أعقلك على ما يرام؟! لا أظن ذلك، لأن هذه الأفعال ليست أفعال عقلاء. أين دينك؟ أين أخلاقك؟ أين العلم الذي كنت تأتين من أجله كل هذا تجاهلتيه من أجل (الموضة) من أجل هذا المنظر السيء الذي أنت عليه الآن وما هذه العدسات التي تضعينها في عينيك.. إن منظرك مضحك جداً وكأنك مهرج يعبث بنفسه ليضحك الناس لقد أصبحت نكتة الموسم.. فاحمر وجهها وبدا عليها الغضب لقد أصبح دمها يغلي في عروقها.. غدت باهتة الألوان مكتملة بلون وجهها الأحمر، وعندما استدارت لتسير مع الشيطانة التي معها (الفتاة

الشريرة) فإذا بي أرى تنورتها تكاد تتمزق من الضيق والأسوأ من ذلك فتحة التنورة أين كانت لما فوق الركبة ألهذه الدرجة تلعب (الموضة) بأفكارنا ألهذه الدرجة نكون ضعفاء. أعتقد بل أجزم أن مثل هؤلاء الفتيات لو أن الموضة أمرتهن أن يخرجن من منازلهن بثياب منحرفة لفعلن ذلك، ولو أمرتهن أن يخرجن بدون أن يمشطن شعرهن لفعلن ذلك. هذا حقاً ما دار بذهني عندما رأيت تلك الفتاة التي كانت لي أكثر من أخت، واليوم تبدلت حالها إلى حال تشمئز النفس من رؤيتها، لقد تأملت كثيراً وحاولت نصحها مراراً ولكن الصدود كان ردها عليَّ دائماً ولم أيأس من إعادتها إلى ما كانت عليه من دين وخلق وحياء وجمال وبجميع الوسائل حاولت إقناعها، وحاولت أن ألفت انتباهها أكثر من مرة إلى الغربيين الذين توصلوا إلى القمر وها هم الآن يريدون غزو كواكب أخرى وسيصلون ما دمنا نحن أطفالاً نلهو بالألعاب التي تقدم إلينا ولكن كلامي معها دائماً كان يذهب دون جدوى إلى أن جاء يوم من الأيام وأنا في طريقي لقاعة المحاضرات وجدتها تبكي وبحرقة شديدة وقد وضعت على رأسها منديلاً أبيض على غير العادة فاستغربت واقتربت منها لأعرف ما سبب حزنها الشديد هذا فكشفت لي رأسها فبدا لي وكأنه قد حرق فسألتها ما الذي فعل بك هذا؟ وكيف حدث هذا؟! فأجابتني والدمع ينهمر من عينيها قائلة: أتعرفين الفتاة التي تقابلنا معها في المطعم فأجبتها: نعم.

فقالت: لقد أعارتني الكثير من مجلات الأزياء وجعلتني أفصل الكثير من ملابسي كما في (الموضة) حتى شعري غدوت أتبع (الموضة) في تسريحه وفي يوم من الأيام باعتني زجاجة بها سائل أحمر وقالت لي: هذه هي وصفة آخر التسريحات وأخبرتني أنها أتت بها من أوروبا وما أن وضعت السائل على رأسي حتى رأيت

شعري يتساقط بفظاعة إنه شيء لم أتصوره أبداً.. فندمت يـا أخـتي علـى كـل مـا فعلته لقد خسرت كل شيء خسـرت ديـني وصـديقاتي وخلقـي وحيـائي وهـذه حالي كما ترين ولكن لن أقول إلا الحمد لله الذي جعلني أتيقظ لنفسي قبل فـوات الأوان ولكن هل تقبلين صداقتي من جديد فأجبتها: نعم ما دمت رجعـت لرشـدك من جديد فأنا صديقتك منذ هذه اللحظة (من رسالة بعنوان: ماذا تخفي لنا الموضة؟ لنجمة السويل)

وعادت تائبة إلى ربها.. عادت من رحلة اللهو والضياع وبدأت حياتهـا تـتغير.. لقد أشرق نور الحق في حياتها من جديد.

السر..*

قصة واقعية لامرأة مغربية أدمعت أعيننا.. بقلم د. أكثم محمد الطائي

السلام عليكم.. يا حاج أنت زوجها أم محرمها؟

- أنا زوجها

- أنا الطبيب الجراح عبد الرحمن

- أهلا وسهلا

- لقد استدعاني الشباب من غرفة العمليات، وتشخيص الأطباء صحيح وزوجتك بحاجة إلى عملية جراحية لبتر التالف من أصابعها وقدمها..

وكما قال الأطباء إن لم تجر العملية فقد يمتد موت الأطراف إلى مناطق أخرى في الجسم ويقتلها لا سمح الله وهي لازالت في منتصف العمر.. أي في الأربعينات.. لم لا توقع هداك الله؟

والله يا دكتور.. لقد أخبرنا الأطباء في المغرب بهذا.. فرفضت هي التوقيع هناك.. وجئنا للعمرة طالبين من الله الشفاء، وهذا ثاني يوم لنا في مكة عمرها الله، وقد أقسمت لها يمينا ألا أوقع على بتر أي طرف من أطرافها لسر تقوله لي فيما بعد.

- يا أخي التحلل من اليمين سهل.. خاصة والشرع يقول الضرورات تبيح

(*) المصدر: مجلة صحتك العدد الثاني والأربعون شعبان – رمضان ١٤٢١هـ

المحظورات، وكفارة اليمين ممكنة وأنت في ضرورة طبية ملحة.

- لا أستطيع يا دكتور.. لقد أقسمت لها أشد الإيمان.. وقد أقسمت أن يميني هذا لا يمكن أن أكفره.

- يا أخي العزيز.. أيها الحاج الفاضل.. الحرم مليء والحمد لله بالعلماء.. نستطيع إرسالك بسيارة الإسعاف.. سلهم وخذ فتواهم وسطر قرارك.

- لا يمكني يا أخي

حاول بعض الشباب التدخل.. منعتهم.. لقد مرت بي حالات حجاج ومعتمرين.. أملهم الموت في مكة المكرمة وأن يدفنوا فيها.. فهم يرفضون العلاج أملا في الموت في الحرمين الشريفين وأن يدفنوا على أرض الحرمين وهو تصرف خاطئ، لابد لعلماء الشرع من التنبيه عليه.

- كما تريد يا حاج ولكنك مسئول أمام الله سبحانه وتعالى لو حصل أي شيء لزوجتك.. ونرجو أن تعلم ما هي المسئولية.. الأمر أمر حياة أو موت وسنعطيك ورقة توقع عليها نتكلم فيها عن تشخيص حالة زوجتك وأننا شرحنا لك الأمر وأنك رافض إجراء أي عملية جراحية وأنك تتحمل كامل المسئولية عن هذا القرار وتخلي طرف المستشفى والأطباء.

- لا مانع عندي

وقع الورقة.. وعدت إلى غرفة العمليات لإنهاء العملية.. ورأيت الشباب قد قاموا بالواجب فشكرتهم وأنهينا العملية التي بين أيدينا والحمد لله بنجاح. وكنت شارد الفكر.. أفكر بهذه الحاجة التي رفضت إجراء العملية.. لقد مرت علينا

حالات في أمريكا أثناء التدريب والدراسة لأشخاص يرفضون إجراء عمليات جراحية لأسباب دينية، فنقل الدم عمل محرم عند المسيحيين العلميين وهي فرقة مسيحية أمريكية لا عهد لي بغير هؤلاء من يحرم إجراء عمليات جراحية وبالعكس فإن ديننا الإسلامي الحنيف يحث على العلاج ألم يشر المصطفى ﷺ فيما معناه أنه لا يوجد داء إلا وله داء أو كما قال.

ترى ما سبب إحجام هذه المرأة؟.. هل سأستطيع أنا وزملائي إقناعها بإجراء هذه الجراحة؟ أهو خوف المرأة من قطع قدمها وجعلها عاجزة.. عن السير في تؤثر الموت على أن تقطع أصابعها وقدمها.

كنت أفكر بكل هذا وأنا أسير نحو سرير المرأة.. مشكلتنا حاليا تخفيض مستوى السكر في الدم.. ومشكلتنا في عالمنا العربي أن المريض لا يعرف الحمية، ولا يستعمل الرياضة.. « إنا لله وإنا إليه راجعون ».

مررت على المرأة لازالت في إغماء.. حالة الأصابع والقدم كما هي.. الأنسولين يعطي لها بين فترة وأخرى.. والمغذي موصل بزندها الأيمن.

خرجت من المستشفى ليلا بعد يوم حافل من العمل.. ولكن موضوع المريضة المغربية جعلني شارد الذهن.. ترى ما سبب امتناعها وزوجها عن إجراء العملية وسبحان الله كثير من الناس يعتقد بأن الطبيب قد تعود على مواجهة الموت والمرض.. فهو يتعامل مع الموت يوميا ويعتقد الناس أن الطبيب لا يتأثر.. وهذا غير صحيح فهناك أشخاص، لا زالت صورهم في ذهننا رغم موتهم منذ عشرين سنة أو أكثر، بل نذكر عن البعض كل التفاصيل الدقيقة.. ويؤثر علينا البعض فتكون حياتنا جحيما.. خاصة على زوجاتنا الصابرات.. اللاتي لا يشاهدن إلا

هجوم الصحف على بعضنا لأخطاء بسيطة.. ولتصرفات خاطئة من البعض.. ونحن بشر.. يخطئ البعض منا.. ما هذا الشعور الغريب يا عبد الرحمن.. دع الصحافة تتكلم ما تشاء.. ألم تعش يا عبد الرحمن في بلاد الحرية الصحفية؟!!

النقد بناء.. النقد صحة.. تسليط الضوء على الظلام يبدده.. ونحن بحاجة إلى تسليط الضوء على ظلام الفساد والرشوة والمحسوبية والوساطة.. لابد من تخفيف منابع الفساد الآسنة في مجتمعاتنا وتطهيرها وتعقيمها.. أتتكلم عن النقد؟ مرحبا بالنقد.. مرحبا بالصحافة حتى لو أخطأت.. ثم أتعمل يا عبد الرحمن للراتب أو المال؟.. لا والله.. كل هذا الساعات.. إنك تخدم أمتك.. ما أجمل الدعاء الذي تسمعه من فم مريض بعد تخلصه من الألم.. وعند سيره على قدميه.. وعند تركه المستشفى. إن لله عبادا خصهم لخدمة الناس.. جعلنا الله منهم.

عدت صباحا.. وكان أول ما قمت به مروري على المعتمرة المغربية.. حتى قبل مروري على من أجريت لهم عمليات بالأمس.. كانت الساعة السابعة صباحا.. لا زالت في إغماء تام.. السكر والحمد لله قد نقص عندها ولكنه لا زالت مرتفعا.. القدم كما هي.

مر أسبوع والمريضة كما هي.. في حالة إغماء.. بيد أن السكر بدأ في الانخفاض الحمد لله..

وكنت أزورها مرتين في اليوم.. صباحاً ومساء.. كانت صحتها تتحسن ببطء شديد.

كنت أمر على مريض أجريت له عملية كبرى.. وإذا بالممرضة تجري..

- دكتور عبد الرحمن.. دكتور عبد الرحمن

- نعم.. نعم..

- لقد عادت إلى الوعي الحاجة أنعام

وبدون أن أناقش أو أتكلم.. أنهيت معاينتي للمريض.. وسرت خلف الممرضة.. بخطى سريعة نحو سرير الحاجة المغربية أنعام.

- السلام عليكم يا حاجة

- وعليكم السلام

قالتها بصوت ضعيف

- كيف الحال.. نرجو الله أن تكوني بكل خير

- لا بأس

قالتها بلهجة مغربية.. أخفت منها الهمة. كان السكر منخفضا إلى درجة مقاربة للطبيعي.. ورأيت تحسنا قليلا في أصابع القدم والقدم.

- يا حاجة كيف حال رجلك؟

- الحمد لله

ولم أستطع أن أجلس معها.. وأحاول كشف السر.. فقد كانت ضعيفة جدا.. طلبت من الممرضة أن تبدأ في مساعدتها في المشي. فقد مر عليها أسبوعان لم تتحرك من السرير إلا بواسطة الممرضات.. بحيث يحركانها تحركا بسيطا.. وتدلك مسئولة العلاج الطبيعي جسدها.. وعدت إلى مرضاي الآخرين.

وفي وقت لم تكن عندي أي عملية.. ولا معاينة مريض.. سرت بمفردي.. حتى وصلت سرير الحاجة أنعام.. كانت تجلس بدون مغذ في ساعدها.. تأكل علبة لبن قليل الدسم.. ووجها يجلس بجانبها وقد لفت الستائر سريرها فأعطتها نوعا من الخصوصية.

سلمت فابتسما. أخذت الأوراق المعلقة على السرير لرؤية آخر تحليل سكر لها.. ضربات القلب ضغط الدم وفحصت القدم لقد خف اللون قليلا.. مما يدل على تحسن في الوضع.

- يا حاجة أنعام. كيف حالك

- بأسعد حال يا دكتور.. كل صلاة بمائة ألف صلاة هل هذا المستشفى في الحرم؟

- نعم يا حاجة أنعام.. أنت في منطقة الحرم

- الحمد لله

- يا حاجة أنعام في سؤال أريد أن تجيبيني عليه. ما موضوع رفضك العملية؟

- يا دكتور لن تؤمن أو تصدق بما أقول

- كيف تحكمين على شيء مقدما؟! .. قصي قصتك ولنر هل أصدقها أم لا.

- كنت في المغرب.. وبدأت رجلي يتغير لونها.. وقال الأطباء لابد من قطعها.. وكنت مقررة دخول المستشفى لإجراء عملية البتر.. ولكنني نمت.. فرأيت فيما يرى النائم ملكا سلم عليَّ وقال: تقبل الله صيامك هذا اليوم وصلاة تهجدك ودمعاتك بعد الدعاء.. جاء الشفاء من الله. جاء الشفاء من الله.. اذهبي إلى بيت الله الحرام..

ولا بتر بل شفاء.. لا بتر بل شفاء فسألت الملك..

- أوهم أنت أم حلم

- أنا ملك من ملائكة الله الصالحين إن شاء الله.. جئتك مبشراً..

أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

- صحوت.. فسألت مشايخ مراكش عن هذا الحلم.. فأجمع الجميع على أنه حلم حقيقي.. وإن الشفاء قادم بإذن الله تعالى..

- وعندها صدقت الشيوخ.. وسافرت لأرض الحرمين الشريفين.. ابتدأت بزيارة المسجد النبوي الشريف ثم جئت مكة عمرها الله.. وحصل ما حصل.. ما رأيك يا دكتور؟

- أما الرؤيا.. فلست من مفسري الأحلام.. ولابد من سؤال شيوخنا هنا عنها.. أما عن الشفاء فهو بإذن الله وأمر الله.. والله الشافي المعافي.

ومرت شهور ثلاثة.. وإذا بالحاجة أنعام تسير على قدميها ويختفي اللون الأزرق.. وتنتهي الغرغرينا.. كانت تغسل رجلها يوميا بماء زمزم على نية الشفاء.. وكانت مؤمنة بالشفاء وشفاها الله.

ملاحظة: قد رويت هذه القصة لمجموعة أطباء.. فأخبروني بأن حالات مشابهة قد حصلت في أفغانستان أثناء الجهاد الأفغاني، والبوسنة والهرسك، وكوسوفو، والشيشان.. وسبحان المعافي الشافي.

كم آلمتنا قصتها

قبل البداية:

عصيت ربي! فتبدلت صفة الهناء بذاتي وتحولت لغة الكلام بكاء يا حسرتي أواه من حسرات عاص الله.

تقول الفتاة: (مشكلتي كبيرة وأخجل جداً أن أذكرها همت على وجهي لمدة أبحث عن يد تمسك بيدي وتساعدني فشلت لا أستطيع أن أحكي لأمي ولا لأحد أخواتي ولا لصديقاتي)

يشعر القارئ أن الفتاة تعيش مأساة حقيقية وألم تعدى حدوده وغطى كيانها كله.

تقول: (اقسم بالله أن الدنيا سوداء في عيني)

للمعصية شؤم وما أعتى هذا الشؤم تسود الدنيا في وجه العاصي والعاصية ويعلم أن لذة معصية دامت سويعة قادرة على جعل العاصي يكره دنياه ويفر من حوله هاربا وحتى لو هرب من الجميع، فأين تأنيب الضمير القاتل؟ بل أين يهرب من الله علام الغيوب؟

بل وماذا لو انتحرت فمعصية على معصية وبعدها إلى بئس المصير

للأسف تعرفت على شاب بل عذرا على ذئب بل عذرا على شيء متوحش يعتدي على حرمات الغير وبل ويعتدي على حرمات الله، للأسف ما زال الضحايا يتساقطون، رباه احفظ شباب وشابات أمة محمد ﷺ.

تقول: ((كانت علاقة عادية نحكي في أمور عامة معنا إخوته وأمه أينما ذهبنا)) هكذا بدأ المكار!! ! ونشر خيوط العنكبوت حول ضحية فقدت صوابها!! !

ثم تستأنف وتقول: (طلب أن يراني قلت لماذا لا أستطيع أن أخرج هكذا معك دون حجابي ولا أستطيع أن أخرج أساسا أهلي سيقتلونني لو علموا) ومعصية تجر أختها وخطوة تتبعها خطوات!! !! !

وتتابع فتقول: (قال أنا أحبك وأنتي تعلمين أني أخاف عليك وأخذني بالكلام وقلت حسنا)

أي حب كاذب هذا!! وأي أخلاق هذه.

للأسف استطاع أن يضحك عليها بمجرد كلمات جوفاء خالية من مشاعر الحب بل هي والعياذ بالله بل هي مشاعر الافتراس

ثم تقابلا للأسف، خرجت الفتاة على غفلة من أهلها، لكن الله ليس بغافل عما يعمل العصاة يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ثم تزداد لذة المعصية، فيخرج الإنسان عن طوره ويتحول لمخلوق بهيمي هدفه فقط شهوته، للأسف يذهب الإيمان وقتها، وتذهب المروءة والأخلاق ضحك عليها الشاب، ووقعا في الحرام والإثم، لا لم يضحك عليها الشاب، بل للأسف ضحك الشيطان على الاثنين، حينها اشتكت الجدران واشتكت الأرض والسماوات واشتكت المخلوقات لبارئ الأرض والسماء قائلين ((ابن آدم حرمنا الخير بشؤم معصيتك)) هو فعلا شؤم على الفتاة والشاب والمجتمع بل وعلى الكون كله.

ويبدو أن الله بكرمه ولطفه بالفتاة وأهلها قد رحم الفتاة وأراد لها الستر والعفة

والطهر

رباه نتبغض إليك بمعاصينا وتستر علينا بل وتغفر لنا بعدها ما أعظمك ربي وما أحلمك

رباه أن قدرنا على المعصية فأنت أقدر منا في المغفرة

تقول الفتاة (لم اسمح له أن ينتهك عذريتي وطهارتي) لكن الفتى كان قد اقترب كثيرا حتى ظنت الفتاة أنها قد تحمل رغم عدم ذهاب عذريتها! هكذا أراد الله أن تظن حتى ترجع إليه وحتى تتذكر مقدار ما فعلت..

ثم يبدأ أثر المعصية بالظهور ويصاحبه الحسرة وتأنيب الضمير

تقول (لأنهم إن علموا أو حدث ما أنا خائفة منه أعتقد أن والدي وأمي لن يكونوا بخير سيصيبهم مكروه بكل تأكيد، أهلي ربوني جيدا وتعبوا في ذلك، لم يقصروا بأي شي معي،يبحثون عن سعادتنا أنا وإخوتي)

فعلا شيء يحطم القلب، تخيلت لو أن الفتاة لا سمح الله ذهبت عذريتها وتلطخت بالعار

ماذا سيحدث لهذا الأب المسكين وماذا سيحل بتلك الأم الطيبة وماذا سيحل بالأخوات

حياة الكثيرين ستنقلب جحيما بسبب نزوة شيطانية وذهاب عقل

أختاه كوني حذرة، كوني مستيقظة واعية، فكري قبل الإقدام فو الله حسرات الدنيا كلها سيمتلئ بها قلبك عندما تعلمين انك دمرت حياة أحب الناس إليك وجعلت وجوههم سوداء

ثم تقول (نادمة)

بداية العودة إلى طريق النور والعودة إلى الله من خطوات التوبة الصادقة النـدم على ما فات

وتقول: (دعوت ربي كثيراً أن يغفر لي ويتوب علي)

ثم يتبع الندم مناجاة لله وطلب غفرانه وبكاء وخضوع وحسرة في القلب

ثم تؤكد الفتاة أنها آمنت بالله وتقسـم أن لـن تعـود فكيـف تعـود وقـد لاقـت الويلات، بل كيف تعود وقد أكرمها الله بستره وأنه ربنا رحمها وتولاها بعنايته

وبعد عدة ليالي مريرة وتـأخر علامـة العذريـة وعـدم الحمـل وأعصـاب الفتـاة مشدودة تظهر العلامة رمز كل فتاة على عفتهـا وطهارتهـا وأخلاقهـا وتخـر الفتـاة لربها ساجدة وشاكرة

قولوا معي:

اللهم احفظ بنات المسلمين وشبابهم من نزواتهم

اللهم ردهم وردنا جميعا إلى دينك ردا جميلا

واغفر معاصينا وارحمنا يا رحمن يا رحيم

بعد النهاية

إني نادمة يا ربي إني نادمة، وإليك أنظر واجلـة، دمعـي يشـهد، بـأني صـادقة، فاقبل رجاء نفس تائبة

لا طلاق ولا عدة بل فراق*

تفننت وتلذذت بتعذيب أم زوجي، وإبعاده عنها قدر المستطاع، ونسيت حقها الذي فرضه الله علينا.

كان الرد انتقام رب العالمين مني، أو انتقامها كان صعباً، وقاسياً دمر حياتي من أساسها.

تذكرت قوله تعالى﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فانهمرت دموعي بحراً.

كثيراً ما يحدث نزاع صامت أو معلن بين الزوجة وأم الزوج حول الزوج وحقوق كل منهما، فالأم ترى حقها مقدماً على الزوجة، والزوجة لا تعترف بهذا الحق، وترى أن زوجها ملك خاص، لا تسمح لأخرى أن يكون لها اعتبار حتى ولو كانت أمه.

الزوجة غالباً ما تمتلك أوراق اللعبة، وتعتقد أنها ستكسب، فتضع رأسها برأس أمه، ولكن مهما كانت حساباتها فالحرب محسومة لصالح الأم، لاعتبارات كثيرة، قد تكون مرارة العداوة تجعل الزوجة تتجاهلها أو لا تتفهمها بما فيه الكفاية، فتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

قصتي أقرب للخيال، وقد تكون رعونتي واستفزازي لأم زوجي هي سبب تعاستي التي لا توصف، فقد انهار كل شيء في لحظة لا تخطر على البال، لهذا أقدم

(*) مجلة شهد الفتيات العدد١٣ ذي الحجة ١٤٢٥هـ

قصتي عبرة لكل فتاة لتتعظ بها:

إنه ابن عمي، حيث نشأ كل منا متعلقاً بالآخر منذ الطفولة، حتى إذا كبرنا تم زواجنا وسط فرحة الأهل وأمنياتهم لنا بالحياة السعيدة، عشنا حياة مليئة بالحب والسعادة هي أقرب للأساطير، حتى أصبح البعض يضرب بنا المثل من حيث الانسجام، والحب، والتفاهم والتوافق، كما أكرمنا الله بطفلين، الولد حمل اسم جده والبنت حملت اسم أمي، زوجي يحبني كثيراً حباً أحسد عليه، أما أنا جميلة بشهادة الجميع، وأهتم بنفسي، قد يكون الجمال وما حظيت به من حب دفعني أن أفتعل العداء مع أمه، أو بالأصح أتسلى بإغاظتها بأسلوب بارد، لأنني ممسكة بكل الخيوط، وأحس في قرارة نفسي أن ما أقدم به خطأ، ولكنني متأثرة بما استمع من كراهية الأم لزوجة الابن، استطعت أن أحكم قبضتي على زوجي حتى أصبح اهتمامه بأمه في حدود ضيقة، واستمرت الأيام وأنا أتعمد إغاظتها، استمرت اللعبة عندما لن يعر أبنها أذناً صاغيةً لشكواها، كنت أشعر أنني أتمتع بدهاء يفوق دهاء صويحبات يوسف!!

حتى جاء ذلك اليوم المشئوم، الذي سددت لي فيه هذه المرأة الضربة القاضية التي نسفت كل شيء، لا أدري أهي صادقة أم استفزازي لها جعلها تقف هذا الموقف؟

ومهما كان فأنا الخاسرة والنادمة.

في ذلك اليوم مرضت هذه العجوز، وجئت أزورها، وقلت لها اكتبي وصيتك، تنهدت وقالت لي: الموت حق.

عندما رجع زوجي كالعادة نادى أطفاله ولاطفهم، وحدثني عن الذكريات

الجميلة التي عشناها، وقال لي: لا أعرف بدونك كيف أعيش، كل الناس يحسدونني، قلت له وأنا كذلك ثم ذكرت له أن أمه مريضة لا بأس من زيارتها، فذهب وما هي إلا دقائق حتى جاء زوجي بوجه لم آلفه عليه جاء عابس الوجه، مطأطئ الرأس، قلت له ماتت؟ قال: لا ولكن.. ولكن ماذا؟ خرج من البيت دون أن يكلمني لحظتها أدركت أن أمه قالت له شيئاً أزعجه، ذهبت لها وسألتها بأسلوب تهكمي، وبلهجة التعالي والغرور، قلت لها: ماذا قلت يا عجوز لابن عمي؟ قالت لي ببرود وبصوت متهدج: الموت حق، وأنا كنت جاهلة أنت وابن عمك أرضعتكم سوياً، وسمعت الشيخ في الإذاعة يقول إن الأخت بالرضاعة لا تتزوج أخاها من الرضاعة، وسألت العلماء قالوا لي زواج ابنك باطل؟ صرخت في وجهها قلت لها: دمرتني؟! حرام.. أنت حاقدة، لحظتها دارت بي الدنيا وسقطت منهارة لقد وقعت الكارثة وأصبحت حديث الناس، سألت أمي عن موضوع الرضاعة فقالت لي هي رضعات لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة ولكن هذه المرأة أقسمت أنها أكثر من أصابع اليدين، وبعد الرفع للقضاء صدر الحكم بالتفريق بيني وبين زوجي دون طلاق وإلحاق الأبناء لقد ضاع كل شيء جميل في حياتي، نعم أنا مذنبة فقد أكون دفعتها لأن تتمسك برواية الرضاعة حتى تحطم قلبي كما حطمت قلبها فالجزاء من جنس العمل.

ولحظتها انهمرت دموعي وسالت بحراً وتذكرت عظيم الجرم والظلم الذي ارتكبته في حق تلك المرأة المسكينة وما آل إليه أمري.

الفتاة الأوكرانية تعتنق الإسلام

إنها بداية عام دراسي جديد، الجامعة فتحت أبوابها تستقبل الطلاب الجدد.. وكنت من بين هؤلاء، تقدّمت للدخول إلى قاعة المحاضرات؛ لحضور الدرس الأوّل..

جلست وجلست بجواري فتاة شابة وهبها الخالق البارئ من الجمال ما لا يدع الفرد يتجاهلها..

و في فترة مابين المحاضرات قدّمت لها نفسي وسألتها عن اسمها، فأجابت مع ابتسامة تدل على مدى رقّتها ولطفها في التعامل.. تجاذبنا أطراف الحديث، دار حوارنا بخصوص الدراسة والحياة والهوايات.. الخ وطغت على لهجتها لكنة أجنبية؛ لم تكن تتحدّث العربية، كان كلامها باللغة الفرنسية ولم تكن تتقنها وعلمت منها بعد ذلك أنها لم تكن تعيش في البلد العربي الذي نقيم وندرس فيه وإنّما أتت من أرض بعيدة غلبت عليها البرودة وغطّت الثلوج تلالها وجبالها، وربّما قلوب بعض سكّانها.. إنّها من أوكرانيا.

مرّت الأيام وتوطّدت علاقتنا أكثر فأكثر وأصبحنا صديقتين. علمت منها أنّها تدين بالمسيحية الأرثوذوكسية واغتنمت الفرصة وعرضت عليها اعتناق الإسلام.. لكن ذهبت كل جهودي في إقناعها سدى.. والسبب كان غريباً ومُحزناً في نفس الوقت..

إنّ ما أخبرتها به عن الإسلام لم يكن يمتُّ بأية صلة مع ما كانت تراه من المسلمين، ولو أنّها كانت في بلد أجنبي لكان ذلك أسهل؛ على الأقل كانت ستقارن

هفوات الحياة الأجنبية مع سماحة وحضارة الإسلام والنتيجة ستكون بلا شك في صالح الحق ودين الحق.. المُحزن أنّي كنت أحدّثها عن دين هي تعيش وسط من (يدينون) به؛ تراهم يصومون رمضان ومنهم من يصلّي، يحتفلون بالأعياد (الفطر والأضحى) ومولد الرّسول و.. و..!

كلّمتها عن دين الصّدق والأمانة والمحبّة وهي ترى وتسمع كذباً وغشّاً في الامتحانات وغيبة ونميمة..!! !

حدّثتها عن دين الأخلاقيات العالية والعفّة وهي ترى بنات وذكور يفعلون ما يشاءون وكم ممّن ادّعى الإسلام طلب منها الخروج وأن تأتي له بالـ «فودكا» مع أن الإسلام ينهى عن الخمر والزنى..!! !

حدّثتها عن دين يحث على العمل والنشاط والاجتهاد، وهي ترى كسلاً يعم المكان، وتخلّفاً يتناقض مع مفهوم هذا الدين.. من جهة أخرى كانت ترى «الملتزمين» و«الملتزمات» أولئك من المؤسف؛ اعتزلوا الناس والمجتمع ولخّصوا الإسلام في زي وعبادات ونكران للغير وابتعاد عمّا يرونه خطأً، والحلال وصاروا يتعاملون مع الباقي وكأن لديه مرض معدي بل وباء خطير يجب استئصاله أو الحجر عليه والابتعاد كل البعد منه!! مع أن الإسلام دين النصح والإرشاد والبذل والعطاء؛ كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: «الدّين المعاملة» وفي حديث آخر: «الدّين النصيحة».. الإسلام والمسلمين.! المتطرفين؛ تطرّف الميوعة والبعد عن تعاليم الرّحمن وتطرّف من ظنّوا أنّهم على صواب بتلخيص الدين في عبادة إن صحّ القول «أنانية».

كان هذا عقدة الموضوع الكبرى؛ فمن وجهة نظرها ما دام الفرد يعتمد على

مبدأ ما في حياته، فمن المفروض أن تظهر آثار مبدئه وعقيدته عليه.. فإذا كان المبدأ سليماً كانت النتائج إيجابية، أمّا إذا كانت النتائج سلبية فالخطأ كل الخطأ في المنهج المتّبع، وكان عليّ أن أثبت العكس وأن أريها مدى خطئها في حكمها على أفضل ما حظت به البشرية: الإسلام!

في خضم الحياة والدروس والامتحانات.. ابتعدنا قليلاً عن الموضوع، ثمّ قدّر علينا الافتراق.

بعد مرور سنتين أو ثلاث، شاء الله سبحانه وتعالى أن نلتقي من جديد.. مع اختلاف بسيط، لكنه جذري؛ كنت قد ارتديت الحجاب.! تفاجأت لرؤيتي كذلك، وراحت تسألني عن سبب قراري فاغتنمت الفرصة من جديد، وكلّي ثقة بأنّني سأكون أكثر إقناعاً مع كل ما عرفته عن ديني وكلّ ما أنعم به الله عليّ بعد تديّني.. تلك كانت أكثر اختلافاً من المرّات السابقة، كانت تصغي لي بانتباه وصمت، وكنت أتكلّم وأتكلّم.. ثمّ انفجرت بالبكاء على حين غرّة! كانت تمرّ بفترة صعبة للغاية وكانت مشاكلها كثيرة والظاهر أن حديثي عن الله والدين والإيمان وأمن الإسلام كان قد حرّك فيها شيئاً ما ولكنّها أبت أن ترضخ لذلك وكأنّني كنت أحدّثها عن برّ أمان تجد نفسها في أمس الحاجة إليه لكن لا تعرف الوصول إليه، بل تخاف من اتخاذ الخطوة؛ فحيرتها زادت أكثر خاصة وأنّ سبب مشاكلها أناس قالوا بأنّهم مسلمون..!! !

وافترقنا من جديد..

وبعد هذا العام، بعد مضي بضعة سنين، التقينا ونحن ننهي دراستنا الجامعية. لكن هذا اللقاء كان حاسماً بالنسبة لي؛ هي ستناقش رسالة تخرّجها وستتزوّج من

مسلم وتغادر معه إلى الجنوب. لقائي هذا كان ربّما الأخير معها، ولن يدوم أكثر من ثلاث أسابيع.. دعوت الله من كلّ قلبي أن يشرح صدرها للإسلام؛ فهي فتاة ذكيّة ولطيفة وتتميّز بصفات حميدة كثيرة، وتوكّلت على الحيّ القيّوم راجية منه التّوفيق. بينما كنت أخطّط لدعوتها من جديد؛ خطر لي أن أطلب العون من أحد الرّفاق في موقع طريق الإسلام، هو شاب تطوّع لدعوة الرّوس للإسلام، أخبرته بالإشكال الموجود عبر الإنترنت وطلبت منه النصيحة كونه أعلم منّي بأحوال القوم في تلك المناطق، ووضّحت له أنّ الوقت جدّ ضيّق وأنّني عازمة على النّجاح في مهمّتي هذه المرّة.

فاتّفقنا على بعض الخطوات نقوم بها، كانت أولاها إقناع الفتاة بعدم مقارنة الإسلام بما تراه من قبل بعض المسلمين والتأكيد على تعريفها بالإسلام الحقيقي المُجرّد من كل الشوائب، وفي هذا الإطار اقترح عليّ بعض المواقع المختصة بالدّعوة باللغة الروسية، وكان عليّ إرسالها لها على بريدها الإلكتروني، إلاّ أنني التقيت بها قبل ذلك، كان لقاءً حاراً فالفراق دام طويلاً وصداقتنا عبر كل تلك السنوات كانت قد اتسمت بالحميمية والودّ. تجاذبنا أطراف الحديث ثمّ سألتها بكل صراحة: كيف أحوالك مع الإسلام..؟

فضحكَت وقالت لي: ألازلت تذكرين..؟ قلت: ولن أتراجع! تعالي نكمل ما علق بيننا..!

واتخذنا مكاناً جلسنا فيه وقلت لها دعينا نحلّ الإشكال هذه المرّة. تكلّمنا على وجود الله (وقد كانت في بعض لحظات ضعفها تنكر وجوده بحجّة أنّه لا يستجيب لدعواها حين تكون بحاجة إليه)، فاتفقنا على ذلك، وتحدّثت عن وجود الدّارين

الأولى والآخرة وعن مغزى وجود الإنسان وأنّه سيحاسب وأخبرتها عن الجنّة، ففاجأتني بردّها الغريب: أفضّل أن أذهب مع الرّوس الذين هم قومي إلى النار على أن أذهب إلى الجنّة مع هؤلاء!

كان من الواضح أنّ الإشكال لا يزال قائماً.. رددت بمثال طرحته عليها؛ إن العالم مليء بمن يسمّون أنفسهم (مسيحيين) ومن المنطقي أن المسيحيين أناس يدينون بدين السيد المسيح والعذراء مريم..؟

ردّت: بنعم! ..

فأكملتُ: لكن هل يُعقل بأن يكون شعب يدين بدين أعفّ وأطهر امرأة عرفتها البشرية، اصطفاها الله لطهرها ونقائها؛ بلا أخلاق ولا قيم ويظهر في مجتمعه كلّ ذلك الانحلال والآفات الاجتماعية والخُلقية؟ وهل يجوز لنا أن نحكم على دين ومنهاج سماوي بالبطلان لمجرّد إخفاق وضلال أتباعه؟

كذلك بالنسبة للإسلام؛ الدين الذي اصطفاه عزّ وجلّ على باقي الأديان، لا يحق أن نحكم عليه من خلال أخطاء بعض أتباعه ومن لم يفقهوا معناه وقيمه السمحة لسبب من الأسباب. ثمّ تطرّقنا لعلاقة العبد بربّه وأنّ من أبسط الأمور أن يكون العبد شكوراً لنعم الله عليه، كونه سبحانه وتعالى خالق البشر المتفضل عليهم بكل شيء..

وركّزت في الحديث على علاقة الحب المتبادلة التي يجب أن تكون بين العبد وربّه وكيف أنّ الإنسان يجب عليه الثقة بمن خلقه وكرّمه.. تحدّثنا عن فائدة الصّلاة وما تمثّله من صلة بين العبد وربّه وحاولت تقريب مفهوم تلك الصّلة بوصف شعور المسلم في صلاته وتضرّعه ودعائه وذكره لله، وكيف أنّه سبحانه وتعالى يذكر من

يذكره ويغفر له وينعم عليه في الدّنيا والآخرة.. وكانت تصغي لكلّ ذلك، ثمّ سألتها إن فهمت مغزى ما أخبرتها به، فردّت أن نعم وأنّها أكثر اقتناعاً، فاغتنمت الفرصة وسألتها إن هي آمنت بوجود ووحدانية الله فأجابت بـ: نعم، وهل هي تؤمن بوجود الملائكة وتوالي الرسل وأن سيدنا محمّد رسول الله وآخر أنبيائه فردّت بـ: نعم، وهل آمنت بوجود اليوم الآخر والحساب فردّت بـ: نعم، فما كان منها إلاّ أن نطقت بالشهادتين وبالتالي اعتنقت الإسلام..

كم كانت سعادتي في أوجها حين سمعتها تردّد أنّها تشهد بأن لا إله إلاّ الله وأنّ مُحمّدا رسول الله.. ياه! أخيراً..!

لكنّني خفت أكثر بعد ذلك؛ خفت أن تكون قد فعلت مجاملةً لي أو لتضع حدّاً للموضوع، خفت أن أفيق من تلك اللحظات وأجدها لا تزال على ما هي عليه.. فانطلقت بعد تلك المقابلة أشتري لها كتيبات إسلامية بالفرنسية أهديتها لها ثم ذهبت إلى الإنترنت؛ بعثت لها بالمواقع الإسلامية الروسية التي أوصاني بها رفيق الدعوة إلى الله، ثمّ بعثت أبشّره بإسلامها.. انتظرت ردها بفارغ الصبر.. حين ردت كدت أطير من الفرح.

لأن حماسها لمعرفة المزيد عن الإسلام وفرحها بالمواقع كان لا يوصف.

حينها أدركت بأنها جادّة في إسلامها، وحمدت الله كثيراً.. أخيراً أسلمت الأوكرانية..!

سبحان الله صرصور يهدي فتاة؟

جلست في غرفتها بعد صلاة العشاء تمارس هوايتها المفضلة وتقضي أمتع ساعاتها.. تغيب عن الدنيا بما فيها.. وهي تسمعه يترنم بأعذب الألحان.. إنه المغني المفضل لديها.. تضع السماعة على أذنيها.. وتنسى نداءات أم أحدودب ظهرها.. من ثقل السنون.. بنيتي استعيذي بالله من الشيطان.. واختمي يومك بركعتين لله بدل هذا الغثاء.. بضجر أجابت: حسناً.. حسناً

اتجهت الأم إلى مصلاها وبدأت مشوارها اليومي في قيام الليل

نظرت إلى أمها بغير اكتراث.. انتهت الأغنية.. تململت في سريرها بضجر.. جلست لتستعد للنوم فآخر ما تحب أن تنام عليه صوته.. حلت رباط شعرها.. أبعدت السماعات عن أذنيها.. التفتت إلى النافذة.. أوه.. إنها مفتوحة

قبل أن تتحرك لإغلاقها رأتها كالسهم تتجه نحوها.. وبدقة عجيبة

اتجهت نحو الهدف.. وأصابت بدقة طبلة الأذن.. صرخت من هول الألم.. أخذت تدور كالمجنونة.. الطنين في رأسها.. الخشخشة في أذنها.. جاءت الأم فزعة.. ابنتي مابك.. وبسرعة البرق.. إلى الإسعاف.. فحص الطبيب الأذن.. استدعى المرضات.. وفي غمرة الألم الذي تشعر به

استغرق الطبيب في الضحك ثم المرضات

أخذت تلعن وتسب.. وتشتم.. كيف تضحكون وأنا أتألم

أخبرها الطبيب أن صرصاراً طائراً دخل في أذنها!! ! .

لا تخافي سيتم إخراجه بسهولة.. لكن لا أستطيع إخراجه لابد من مراجعة الطبيب المختص، عودي في الساعة السابعة صباحا.

كيف تعود والحشرة تخشخش في أذنها تحاول الخروج؟ والألم يزداد لحظة بعد أخرى أخبرها الطبيب أنه سيساعدها بشيء واحد وهو تخدير الحشرة إلى الصباح حتى لا تتحرك.. حقن المادة المخدرة في أذنها وانتهى دوره هنا.. عادت إلى البيت كالمجنونة رأسها سينفجر لشدة الألم ومر الليل كأنه قرن لطوله وما أن انتهت صلاة الفجر حتى سارعت مع أمها إلى المستشفى.. فحصها الطبيب لكن.. خاب ظن الطبيب المناوب.. لن يكون إخراج الحشرة سهلاً.. وضع منديلا أبيض.. أحضر الملقاط.. أدخله في الأذن.. ثم أخرج.. ذيل الحشرة فقط.. عاود الكرة.. البطن.. ثم.. الصدر.. ثم الرأس.. هل انتهى؟

لازالت تشعر بالألم!!

أعاد الطبيب الفحص.. لقد أنشبت الحشرة ناباها في طبلة الأذن!!

يستحيل إخراجها إنها متشبثة بشدة!!

وضع عليها الطبيب قطنه مغموسة بمادة معقمة وأدخلها في الأذن وطلب الحضور بعد خمسة أيام فلعل الأنياب تتحلل بعد انقطاع الحياة عنها!!

في تلك الأيام الخمسة بدأت تضعف حاسة السمع تدريجيا حتى أصبحت ترى الشفاه تتحرك ولا تدري ماذا يقال ولا ماذا يدور كادت تصاب بالجنون!

عادت في الموعد المحدد حاول الطبيب ولكن.. للأسف لم يستطع فعل شيء.. أعاد الكره قطنة بمادة معقمة.. عودي بعد خمسة أيام.. بكت.. شعرت بالندم..

والقهر وهي ترى الجميع يتحدث ويضحك.. وهي لا تستطيع حتى أن تسمع ما حولها أو تبادلهم الحديث.

عادت بعد خمسة أيام إلى الطبيب..

أيضاً لا فائدة

ستقرر لك عملية جراحية لإخراج النابين كادت تموت رعباً وهماً طلبت من الطبيب فرصة خمسة أيام أخرى أعادوا الكرة وبعد خمسة أيام.. من الله عليها بالفرج واستطاع الطبيب أن يسحب النابين دون تدخل جراحي وابتدأ السمع يعود إليها بالتدريج.. عندها فقط.. علمت أن كل ما أصابها كان بمثابة الصفعة التي أيقظتها من الغفلة وكانت من.. العائدين إلى الله

توبة فتاة

سوف أتكلم عن سبب توبتي وهدايتي التي من الله تعالى علي.

أنا شابة عمري الآن ٢٢ سنة، لقد كنت في السابق بنت تعرف دين الله من حيث الصلاة و صلة الرحم وكيفة التعامل مع الناس بالطريقة المثلى.

لكن اسمحوا لي بأن أكون صريحة معكم، لقد كنت أعرف طريق المعاكسات منذ أن كان عمري ١٥ سنه: (نعم أعرف أنه شي محزن ومخزي للغاية، وبعدها استمرت حالتي من شاب إلى آخر ومن فتى إلى فتى. وهم يلعبون بي كالدمية في أيديهم، لكن الشرف الجسدي موجود، أما بالنسبة للشرف الاسمي.، للأسف كان ملطخا بال..

واستمرت حالتي هذه إلي أن صار عمري ٢٠ سنه، في ذلك اليوم الذي اعتزمت فيه أن لا أكلم الشباب مرة أخرى، لأني عرفت أن غرضهم التسلية فقط، لا الزواج.

فقلت لنفسي من اليوم لا للمعاكسات.

وفي يوم من الأيام كنت خارجة مع صديقتي (علما بأني كنت فتاة غير محجبة)، وهذه صديقتي أيضا غير محجبة، المهم وأنا مع صديقتي بالسيارة أقول لها هل سمعت الأغنية الفلانية إنها رائعة، فقالت لي أنا لا أسمع الأغاني فقلت لها لماذا فقالت إن الأغاني حرام، وكنت أعرف أنها حرام فسكتت.

رجعت إلى البيت فقمت بإلغاء جميع أشرطة الأغاني، وقلت لنفسي أنا أعلم إنها حرام إذا لماذا اسمعها، وصديقتي ليست أحسن مني فقلت بما أنها حرام فلا للأغاني

من اليوم وصاعدا واشكرها الآن لأنها أرشدتني لهذا الشيء.

وبعدها خفت الخروج وصرت لا أخرج من البيت إلا للضرورة، وهكذا استمرت حالتي إلى أن جاء رمضان، وعندما أتى رمضان سبحان ربي أحسست بفرحه غير طبيعية لأن ربي امتن علي بالعيش إلى أن أحضر رمضان.

وفي أيام رمضان الأولى كنت أحس بضيق غير طبيعي ولا أعرف سبب هذا الحزن أو الضيق وكنت أذهب لصلاة التروايح وكنت أبكي في الصلاة وتقول صديقتي ما بك، أقول لها لا أعرف سبب حزني وضيق صدري.

وظلت حالتي هذه الأسبوعين الأوليين لرمضان.

وفي يوم من أيام رمضان كانت ليله ممطرة وكان صلاة التروايح، وكنا نصلي بالخارج أي خارج المسجد وكان المطر ينزل ونحن نصلي، وفي صلاة الوتر إذ الأمام يدعو بدعاء هز كياني واقشعر منه شعر جسدي، وعندما انتهت الصلاة التفت على صديقتي وقلت لها سوف أتحجب..

وكان هذا القرار نهائي، وقالت لي صديقتي أيضا أنها سوف تتحجب معي.

وبعدها ولله الحمد أقلعت عن جميع الذنوب والمعاصي التي كنت أعملها بالسابق، والتحقت بالدروس الدينية والندوات، لكي يكون الدين والإيمان يمشي بعروقي مشي الدم.

وهذه كانت قصة توبتي.

أتمنى منكم.. الدعاء لي بالثبات.

وآخر دعائي اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك.

الصلاة.. الصلاة والحجاب

قال الراوي: كنت في مصر أثناء أزمة الكويت، وقد اعتدت دفن الموتى منذ أن كنت في الكويت، واشتهرت بذلك، وذات ليلة اتصلت بي فتاة تطلب مني دفن أمها المتوفاة.. فلبيت طلبها، وذهبت إلى المقبرة.. وانتظرت عند مكان التغسيل.. وفجأة، أربع فتيات محجبات يخرجن مسرعات.. لم أسأل عن سبب خروجهن وسرعتهن في الخروج، لأن ذلك أمر لا يعنيني..

وبعد مدة وجيزة، خرجت المُغَسِّلة وطلبت مساعدتها في تغسيل الجنازة، فقلت لها: إن هذا لا يجوز، فلا يحل للرجل أن يطلع على عورة المرأة، فَعلَّلت ذلك بضخامة جسم الميتة وصعوبة تغسيلها! .. لكنها عادت وأتمت تغسيلها ثم كفنتها، وأذنت لنا في الدخول لحملها.. دخلنا، وكنا أحد عشر رجلاً، وكان الحمل ثقيلاً جداً، ولما وصلنا إلى فتحة القبر – وكعادة أهل مصر فإن قبورهم مثل الغرف، ينزلون من الفتحة العلوية إلى قاعة الغرفة بسلّم ثم يضعون موتاهم بلا دفن(!) (1) فتحتا الباب العلوي، وأنزلنا الجنازة من على أكتافنا لإدخالها، لكنها– لثقلها – انزلقت وسقطت منا داخل الغرفة حتى سمعنا فعقعة عظامها وهي تتكسر من جرّاء السقوط..

قال: فنظرت، فإذا الكفن قد انفتح قليلاً وظهر شيء من الجسم، فنزلت مسرعاً إلى الجثة وغطيتها، ثم سحبتها بصعوبة بالغة إلى اتجاه القبلة، وكشفت عن بعض

---

(١) المشروع أن يدفن الميت ويوارى جثمانه في صدع من الأرض كما وردت بذلك السنة.

وجهها فرأيت منظراً مفزعاً، عينين جاحظتين مخيفتين، ووجهاً مسوداً، فداخلني رعب عظيم، وكدت أصعق من هول ما رأيت، فخرجت مسرعاً وأغلقت باب القبر.. وفور وصولي إلى البيت، اتصلت بي إحدى بنات المتوفاة، واستحلفتني بالله أن أخبرها بما جرى لوالدتها.. حاولت إخفاء الحقيقة لكنها ألحّت، فأخبرتها بالذي رأيت.. فقالت: إن هذا هو الذي دعانا إلى الخروج من مكان التغسيل بتلك السرعة.. وأجهشت بالبكاء .. فصبّرتها.. ثم سألتها عن حال والدتها، وهل كانت قبل موتها مقيمة على شيء من المعاصي؟ فأجابت والحسرة تكاد تقتلها: يا شيخ، إن والدتنا ثم تصلّ لله ركعة، وقد ماتت وهي متبرجة .

قال رسولُ الله ﷺ: « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » أخرجه مسلم.

كأنك عجّل الأقوامُ غسْلَك وقام الناس يبتدرون حملك

ونُجِّدَ بالثرى لك بيتُ هَجرٍ وأسرعت الأكف إليه نَقْلَكْ

وأسلمك ابنُ عمك فيه فرداً وأرسل من يديه أخوك حبلك

وحاولت القلوبُ سواكَ ذكراً أنسنَ بوصله ونسين وصلك

وصار الوارثون – وأنت صفرٌ من الدنيا – لمالك منك أملك

إذا لم تتخذ للموت زاداً ولم تجعل بكر الموت شُغلَكْ

فقد ضيعت حظَّكَ يوم تُدعى وأصلَكَ حين تَنسبُهُ وفَصْلَكْ

والموعد الجنة

خرجا من بيتهما في إحدى المدن يريدان البيت الحرام.. هو شيخ صالح ن وهي امرأة صائمة قائمة.. وقبل الخروج حدث شيء غريب.. ودعت الأم أولادها، وكتبت وصيتها، وقبلت أطفالها وهي تبكي، ونظرت إليهم وكأنها نظرة مفارق..

ومضى الزوجان إلى أطهر بقعة على وجه الأرض يطويان الفيافي والقفار، وهناك طافا حول الكعبة المشرفة، وسعيا بين الصفا والمروة، ثم حلق وقصّرت، وكرا راجعين وهما في غاية السرور والاغتباط. ولكن.. يشاء الله عز وجل – ولا راد لأمره- أن تنفجر إحدى عجلات السيارة، فتخرج عن مسارها وتنقلب رأساً على عقب.. ويخرج الزوج سليماً معافى، ويبحث عن امرأته الصوامة القوامة.. التقية النقية. (نحسبها كذلك والله حسيبها)،فيجدها.. ولكن في سكرات الموت.. (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)..

مد إليها يديه ليحملها، لكنها نظرت إليه نظرة مودع قالت له: عفا الله عنك.. بلّغْ أهلي السلام.. اللقاء – إن شاء الله – في الجنة..

ثم ختمت كلامها بشهادة التوحيد وكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله محمد رسولُ الله لتنام قريرة العين.. لكنها الرقدة الكبرى..

يا بانيَ الدارِ المعدَّ لها

ماذا عملت لدارك الأخرى؟

ومُمَهِّد الفُرُشِ الوثيرةِ لا

لا تُغفل فراش الرقدة الكبرى

ويعود الرجل وحيداً بعد أن وارى جثمان امرأته والحزن يمـلأ قلبـه، فيسـتقبله أطفاله استقبلاً حاراً.. وتسأله ابنته الصـغرى: أبـي أيـن أمـي؟.. فينعقـد لسـانه ويعجز عن الجواب.. فتصرخ في وجهه: أبي، أريد أن أرى أمي، أين أمـي؟ فينهـار الرجل أمام طفلته الصغيرة ويبكي بكاء مراً، ويقـول لهـا: سـوف ترينهـا بـإذن الله، ولكن في جنة عرضها السموات والأرض.. ليست كدنيانا الحقيرة..

الوداع الأخير

امرأة صالحة.. ومربية عظيمة.. ومتصدقة كريمة.. هذا ما شهد به المقربون منها.. خمسون عاماً مرت عليها وهي بكماء ولم تنبس ببنت شفة..

أعتاد زوجها وأهلها هذا الوضع، مؤمنين بقضاء الله وقدره، فله – سبحانه – الحكمة البالغة في كل ما يدبره في هذا الكون.. وهكذا ينبغي للمسلم أن يرضى بقضاء الله وقدره في كل ما يصيبه من كرب أو بلاء.

في ليلة من الليالي – وعلى غير عادتها – استيقظت مبكرة قبل الفجر بساعات، ووقفت تصلي بين يدي الله عز وجل.. وفجأة.. نطقت بصوت مسموع.. واستيقظ الزوج على إثر ذلك الصوت..

يا إلهي .. ما الذي حدث، أبعد هذه العقود الخمسة من الصمت المطبق ينطلق لسانها.. » نعم نطقت، وبالشهادتين، بلغة واضحة وصريحة، وتضرعت إلى الله بالدعاء بالكلمة المسموعة..

وانتظر زوجها فراغها من الصلاة وهو في غاية اللهفة، ليسألها عما حدث، ولكن قدر الله كان أسبق، فما إن فرغت من صلاتها حتى قُبضت روحها وهي لم تبرح سجادتها الأثيرة، وقد ختمت حياتها بكلمة التوحيد والدعاء، فهل سمعتم بخاتمة أحسن من هذه الخاتمة؟[1].

---

(١) هذه القصة نُشرت خبراً في جريدة الجزيرة، العدد ١٠١٨٣، وقد أعدت صياغتها.

ثبات أخت متحجبة**

هذه قصة أخت متحجبة.. تقية.. طاهرة.. شريفة، كانت مع زوجها في باخرة السلام التي غرقت وهي في طريقها من السعودية إلى مصر، يقول زوجها ويقسم بالله:

والله يا شيخ لما سمعت أن السفينة تغرق، وأنّ الناس تصرخ وتبكي، قلت لزوجتي وأنا معها في الغرفة: قومي هيا بسرعة هيا اخرجي، إن المركب يغرق.

قالت: كلا، انتظر. قلت: ماذا انتظر، اخرجي بسرعة. قالت: انتظر حتى ألبس النقاب، قلت: هذا وقت نقاب. قالت: والله لن أخرج [إلا وأنا متنقبة] حتى إن مت ألقى الله وأنا على طاعة.

والله ما خرجت إلا بعد أن لبست ثيابها، إنهُ الحياء هكذا يصنع الإيمان بأهله أيها الأحبة، أيها الشباب والفتيات، قال: لبست ثيابها، ولبست نقابها، ولبست قفازيها، ولبست سروالها، ولبست الثياب كاملة وخرجت مع زوجها.

يقول زوجها: والله لما صعدنا على سطح المركب، وعلمت أننا هالكون وأن المركب غارقة، يقول: وجدت امرأتي تتعلق بي وتقول: أستحلفك بالله هل أخطأت في حقك قبل اليوم.

قال: لا والله. قالت: سامحني، قال لها: سامحتك. يقول: والله إذا بها تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله » ثم نظرت إلي وقالت: أرجو

---

(١) ذكرها الشيخ: محمد حسان.

الله أن يجمعني بك في الجنة.

إنه الثبات على دين الله، صنف مبارك يثبته الله لأنه عاش على الإيمان عاش على التوحيد، والله سبحانه يجري عادته وكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات عليه بعث عليه يوم القيامة.

وحشة وضيق وهم وغم[1]

مرت علي سنوات من حياتي لم أصلها أبداً!!

لا سجود ولا ركوع، أسمع الأذان كأني لا أسمع الأذان، أعلم فرض الصلاة ولكني لا أصلي، تقول: قضيت حياتي بالغناء، والطرب واللهو واللعب، تقول: وفي ليلة من الليالي – انظر ما الذي حصل – تقول: ما كنت أنام إلا في الصباح، أسهر الليل وأنام الصباح، طبعاً سهر ليس في القيام!! وليس في الدعاء!! والرب ينزل، لا، سهرها طرب، وأفلام وأغاني ومسلسلات، تقول: وفي ليلة من الليالي، ضاق صدري، وعلاني الهم والغم، تقول: حتى أحسست أن الدنيا كلها ضاقت في صدري، تقول: لوحدي في الغرفة، في ظلام الليل، تقول: وحشة وضيق وهم وغم، تقول: ففتحت نافذة الغرفة، آخر الليل قبيل الفجر، تقول: فتحت نافذة الغرفة أنظر إلى السماء، في ظلام الليل وهدوءه، وسكونه، تقول: أبكي بشدة الألم، ومن الضيق والهم.

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا)

لكن انظروا ما الذي حصل!!

تقول: فجأة وأنا أفكر بهذه الدنيا، ماذا صنعت!! ، ماذا فعلت!! ، لم هذا الهم!! لم هذا الغم!! ، كل شيء أفعله، الغناء، الطرب، اللهو، اللعب.

تقول: فجأة قطع الصمت صوت، صوت ماذا!! صوت الإمام يصلي بالناس

---

(١) شريط (قرةُ العيوُن) للشيخ / نبيل العوضي

صلاة الفجر، تقول: فأخذت أستمع كأني اسمع صلاة أول مرة، تقول: فإذا بالإمام يقرأ قول الله جل وعلا (قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

تقول: كأني أسمع الخطاب يوجه إليّ، تقول: فانفجرت بالبكاء، وأخذت أبكي وأبكي، ولا أدري لمَ أبكي!!

النور بدأ يدخل القلب، الصلاة نور، القرآن نور، هذا نور الله، تقول: حتى قررت أن أغتسل، وأتوضأ وأصلي لله، تقول: فصليت الفجر ولم أكن قد صليت منذ سنين، تقول: فصليت صلاة الفجر، فأبدلني الله عز وجل، بدل الضيق سعادةً وسرورا.

(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم) – يسمع الأذان وينام – (فويل للقاسية قلوبهم) – يسمع الأذان ويولي – (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)..

ممرضة أمريكية تشهر إسلامها في المطار[1]

أشهرت امرأة أمريكية تعمل في مهنة التمريض إسلامها ونطقت بالشهادتين في مطار الملك خالد الدولي بالرياض اثر إطلاعها على كتيب توعوي يتناول تعريفاً بالدين الإسلامي ومبادئه.

وقال لـ(الجزيرة) خالد بن إبراهيم السيف مشرف توزيع الكتب بمطار الملك خالد الدولي: إن المرآة الأمريكية كانت في صالة الانتظار تنتظر حضور كفيلها ونظراً لتأخره مدة طويلة قام أحد العاملين في المشروع بتقديم وجبة خفيفة لها وأرفق مع الوجبة كتيباً باللغة الإنجليزية يوضح شرحاً وافياً عن الإسلام وأركانه وكانت في هذه الأثناء تتابع النساء وهنّ يؤدين الصلاة وقد تزينّ بالحجاب، مشيراً إلى أنها بعد إطلاعها على الكتيب قامت بالاتصال فوراً وأبدت رغبتها في اعتناق الإسلام وبعد قناعتها الجادة به، موضحاً إنها غيرت اسمها فيما بعد إلى (فاطمة).

نسأل الله لها الثبات علي الحق.

(١) جريدة الجزيرة السعودية – عدد ١١٥٤٩ الأربعاء ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ

بعد سماعها لآيات من القرآن الكريم؟*

تقول هذه الفتاة:

نشأت في بيت متدين بين والدين صالحين، يعرفان الله -عز وجل- كنتُ ابنتهم الوحيدة.. فكانا يحرصان دائماً على تنشئتي تنشئة صالحة، ويحثانني على الالتزام بأوامر الله -عز وجل- وخاصة الصلاة وما إن قاربتُ سن البلوغ حتى انجرفت مع التيار، وانسقت وراء الدعايات المضللة، والشعارات البراقة الكاذبة التي يروج لها الأعداء بكل ما يملكونه من طاقات وإمكانيات..

ومع ذلك كنت بفطرتي السليمة أحب الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وأخجل أن أرفع عيني في أعين الرجال.. كنت شديدة الحياء، قليلة الاختلاط بالناس، ولكن -وللأسف الشديد- زاد انحرافي وضلالي لدرجة كبيرة بعد أن ابتُليت بزوج منحرف لم أسأل عن دينه.. كان يمثل عليّ الأخلاق والعفة.. عرّفني على كثير من أشرطة الغناء الفاحش الذي لم أكن أعرفه من قبل، وأهدى إليّ الكثير من هذه الأشرطة الخبيثة التي قضت على ما تبقى فيّ من دين حتى تعودتْ أذنيّ سماع هذا اللهو الفاجر..

تزوجته ووقع الفأس في الرأس.. زواجي في بدايته كان فتنة عظيمة لما صاحبه من المعازف وآلات الطرب والتبذير والإسراف والفرق الضالة والراقصات الخليعة.. مما صد كثيراً من الحاضرين عن ذكر الله في تلك الليلة.

ومع مرور الأيام التي عشتها مع هذا الزوج الذي كان السبب الأول في انحرافي

(*) العائدون إلى الله

وشرودي عن خالقي؛ تركت الصلاة نهائيا، ونزعت الحجاب الذي كنت أرتديه سابقاً.. ولأنني لم أعمل بحديث النبي ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجه)، قطعتُ الصلة بربي فقطع الصلة بي ووكلني إلى نفسي وهواي.. ويا شقاء من كان هذا حاله.. (ولا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنَا قلْبُه عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبعَ هَوَاهُ وَكَانَ أمْرُهُ فُرُطاً).

ولكني لم أجد السعادة بل الشقاء والتعاسة.. كنت دائماً في هم وفارغ كبير جداً، أحسه بداخلي رغم ما وفّره لي زوجي من متاع الدنيا الزائل. لقد أنزلني هذا الزوج إلى الحضيض.. إلى الضياع.. إلى الغفلة بكل معانيها.. كنت دائماً عصبية المزاج غير مطمئنة.. ينتابني قلق دائم واضطراب نفسي.. وكما كنت متبرجة ينظر إليّ الرجال، كذلك كان زوجي يلهث وراء النساء، ولم يخلص لي في حبه، فقد تركني وانشغل بالمعاكسات، والجري وراء النساء.. تركني وحيدة أعاني ألم الوحدة والضياع، وأتخبط في ظلمات الجهل والضلال.. حاولت مراراً الانتحار، لكي أتخلص من هذه الحياة الكئيبة، ولكن محاولاتي باءت بالفشل، وأحمد الله على ذلك..

إلى أن تداركني الله بفضله ورحمته واستمعتُ إلى شريط للقارئ أحمد العجمي، وهو يرتل آيات من كتاب الله بصوته الشجي.. آيات عظيمة أخذتْ بمجامع فكري وحرّكت الأمل بداخلي.. تأثرتُ كثيراً.. وكنت أتوق إلى الهداية، ولكني لا أستطيعها، فهرعتُ إلى الله ولجأتُ إليه في الأسحار أن يفتح لي طريق الهداية ويزيّن الإيمان في قلبي ويحببه إليّ، ويكرّه إليّ الكفر والفسوق والعصيان.. كنتُ دائماً أدعو الله بدعاء الخليل إبراهيم -عليهم السلام-﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن

ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾.

ورزقني الله بشائر الهداية فحافظتُ على الصلاة في أوقاتها، وارتديتُ الحجاب الإسلامي، وتفقّهتُ في كثير من أمور ديني.. حافظتُ على تلاوة كتاب الله العزيز باستمرار، وأحاديث المصطفى ﷺ وسيرته العطرة، والكثير من الكتب النافعة، وأصبحت أشارك في الدعوة إلى الله، وقد حصل كل هذا الخير بعد أن فارقتُ هذا الزوجَ المنحرفَ الذي كان لا يلتزم بالصلاة، رغم حبي له، وآثرتُ قرب خالقي ومولاي، فلا خير في زوج طالح صدني عن ذكر الله.. (ومن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه).

وها أنا الآن -والحمد لله- أعيش حياة النور الذي ظهرت آثاره على قلبي ووجهي، هذا بشهادة من أعرفه من أخواتي المسلمات، يقلنَ لي إن وجهك أصبح كالمصباح المنير، وقد لاحظنَ أن النور يشع منه، وهذا فضل عظيم من الله سبحانه. أدعو الله أن يثبتني على دينه وسائر المسلمين.

أسلمت وهي في سكرات الموت

يروي عبد الرزاق المبارك*:

هذه قصة أشبه بالخيال منها بالحقيقة.. ولو حدثني بها أحد لأكثرت عليه وأكثرت الاستيثاق منه. فقد كنت أجلس في مكتبي بعد أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة في إحدى الليالي الطويلة من شتاء (أوريجن) الطويل في شمال غربي القارة الأمريكية بالولايات المتحدة في شهر شوال من عام ١٤١٩هـ.

وفي مدينة (يوجين) حيث كنت طالباً في جامعة (أوريجن) أمسيت مستغرقاً للدرس، وبينا أنا كذلك والهدوء مخيم والصمت مطبق لا يقطعه إلا صوت ابنتي الصغيرة وهي تلعب.. وإلا صوت زخات المطر المتقطع وإن كنت أستأنس بذلك كله ويبعث فِيَّ روحاً من النشاط جديدة.. وبينما أنا كذلك إذا برنين الهاتف يتسلل بين تلك اللحظات الساكنة ؛ وها هو أخ لي في الله جزائري اسمه (شكيب). وبعد التحية والسلام.. أخبرني بحادثة جد غريبة.. وسعيدة في آن واحد!!

فقد كان لزوجته الأمريكية المسلمة (كريمة) خالة على ديانة الصليب والتثليث، وقد أُخذت الخالة تلك إلى مستشفى سيكرت هارت الذي يبعد عن منزلي مسير ثلاث دقائق وبعد تشخيص حالتها لم يستطع الأطباء إخفاء الحقيقة..

فالمرأة ميئوس من حياتها.. وإنها مفارقة لا محالة.. والأمر ساعة أو ساعتان أو أكثر أو أقل والعلم عند الله وحده.

(*) مستشار بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

ثم ذكر لي ما جرى له ولزوجته وأنا في ذهول تام أستمع إلى نبرات صوته يتهدج وكأني أحس بنبضات قلبه وحشرجته تعتري صوته بين الحين والآخر، وقد قال لي بالحرف الواحد: تحدثت مع زوجتي في حال خالتها، وتشاورنا في إجراء محاولة أخيرة ندعوها فيها إلى الإسلام ولو بقي في عمرها ساعة ما دامت لم تغرغر الروح. قال صاحبي: فاستعنت بالله، وصليت ركعتين، ودعوت الله عز وجل لها بالهداية وأنا في السجود، وأن يشرح صدرها لدين الهدى والحق.. وذلك لعلمي أن العبد أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد. ثم اتجهت كريمة إليها في المستشفى وعرضت عليها الإسلام وأخبرتها أن الإسلام يجبُّ ما قبله، وأن الله يغفر لها ما قد سلف من عمرها إن هي قالت: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) خالصةً من قلبها.

غير أن تلك المرأة المريضة قد فقدت القدرة على الكلام، فطلبت زوجة صاحبي بفطانة وحسن تصرف من خالتها المريضة أن تنطق بالشهادتين في نفسها إذ كانت عاجزة عن النطق بلسانها، وأنها إن فعلت ترفع يدها إشارة لذلك.

وبعد أن أوضحت لها معناها بالإنجليزية قالت لها: قولي بقلبك: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم كانت لحظات حرجة على كريمة ؛ فكم تتمنى لخالتها النجاة من نار وقودها الناس والحجارة، ومع دقات قلب متسارعة مرت ثوان بطيئة متثاقلة لا يشبه تثاقلها إلا حركة يد المرأة المريضة التي بدأت ترفع يدها بعد أن سمعت تلقين الشهادة أكثر مما كانت تستطيع أن ترفعها من قبل، وتبسمت معلنة رضاها واختيارها وقبولها دين الإسلام.

وإذا بالممرضة الأمريكية التي كانت تتابع ما يحدث دون أن يشعر بها أحد تتقدم

لتعرض تبرعها بأن تكون شاهداً رسمياً على إسلام خالة كريمة إن احتيج إلى ذلك.. أنطقها الله الذي أنطق كل شيء. لا إله إلا الله!! وها هو صديقي شكيب يسألني عما يجب علينا تجاه هذه المرأة التي ما زال لها عرق ينبض ونفس يجري.

أجبته: إنها أخت لنا في الإسلام لما ظهر لنا من شأنها، ونَكِلُ سريرتها إلى الله عز وجل. قلت له ذلك وأنا في غاية الذهول، وقلبي يخفق فرحاً لإسلام هذه المرأة وهي في مراحل متقدمة من المرض وقد أيس الأطباء من شفائها.

وذكَّرت أخي قول الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه الذي رواه ابن مسعود ﷺ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: « إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه في أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ؛ فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها»(*).

ثم وضعت سماعة الهاتف.. أطرقت لحظة، وضعت كفي على خدي ؛ فما شعرت بنفسي إلا وأنا أجهش بالبكاء تأثراً واستبشاراً، وكذلك كان حال من حولي عندما رويت لهم القصة تلك الليلة وكانت لحظات معطرات بالخشوع والدموع حامدين فيها لله تعالى، مهللين له ومسبحين لما تفضل به على هذه المرأة

(*) (١) أخرجه البخاري، رقم ٣٢٠٨، و مسلم، رقم ٣٣٣٢، و أبو داود، رقم ٤٧٠٨، و الترمذي، رقم ٢١٣٧، واللفظ له.

من الهداية..

أما صاحبي فقد أخبرني عندما التقيت به في المسجد فيما بعد أنه كلما ارتسمت في خياله صورة هذا الموقف، غلب عليه شعور غريب من الدهشة وأحس في جسده بقُشَعْرِيرة، ثم لا يجد في نفسه إلا مزيداً من الرغبة في الصلاة وطول السجود والمكث في المسجد.

مهلاً ؛ فالحكاية لم تنته بعد.. ففي الليلة نفسها التي أسلمت فيها هذه المرأة وما مضت ساعات على محادثتي معه وعندما هاتفت صاحبي لأخبره بأن عليها أن تصلي المغرب والعشاء على ما يتيسر لها ولو إيماءً ؛ وإذا به يخبرني بأن الأجل المحتوم قد سبق الجميع إليها، فأسلمت روحها لباريها مسلمة هكذا نحسبها والله حسيبها راضية بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً ؛ وما صلت لله صلاة واحدة. فاللهم بحق الإسلام وأُخُوَّته نسألك أن ترحمها وأن تتقبلها بأحسن القبول.

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.. يا أرحم الراحمين.

كانت هدايتي بعد (كأس الشاي)

انسكب الشاي.. فبكيت.. لماذا؟

بعد هدايتي بفضل الله.. بينما كُنت أحمل يوماً كأساً من الشاي الساخن..

وأنا امشي.. تحرك الكوب فانسكب الشاي الساخن على يدي..

وليست هذه أول مرة.. وإنما حصل قبل ذلك الكثير!!

ولكن هذه المرة كانت مُختلفة تماماً..

لماذا؟

لأنها دمعت عيناي..

ما السبب؟

ليس ألماً أو شكوى.. بل فرحاً وخوفاً

خوفاً.. لأنني تذكّرت النار والعياذ بالله.

وفرحاً..

كيف لا؟ وهذه رحمة من الله لي أنا المسكينة التي عصيته سنين بهاتين اليدين!!

من تسجيل أغاني وحمل أشرطة الغناء بيديّ.. لساعات!

وتصفّح المواقع الخليعة لسنين

ومُمارسة العادة السرية لسنين!!

مع هذه الدموع.. حمدت الله.. و سجدت شُكراً لله تعالى.

إنني مُقصّرة في عبادتي واستغفاري..

اللهم إنك عفو كريم تُحب العفو فاعف عني..

تائبة عند سماع الأذان*

في صيف أحد الأعوام فكرت الأسرة أن تسافر كالعادة إلى بلاد أوروبا، هناك حيث جمال الأرض وروعة المكان، وأكثر من هذا الحرية التي تمنحها المرأة لنفسها، كانت هذه الفتاة مع الأسرة تربط الأمتعة وتنظر إلى أخيها الأكبر، وتقول له في فرحة غامرة وسعادة كبيرة:أما هذه العباءة سأتركها.. لا حاجة لي بها.

وهذا الحجاب الذي حجبني عن حيرتي وعن أمتعتي فسوف أرمي به عرض الحائط سألبس لباس الحضارة.. زعمت!

طارت الأسرة وسارت من أرض الإسلام وبقيت في بلاد أوروبا شهراً كاملا ما بين اللعب والعبث والمعصية لله سبحانه وتعالى! . وفي ليلة قضتها هذه الأسرة بين سماع المزامير ورؤية المحرمات عادت الفتاة إلى غرفتها و فبل النوم أخذت تقلب تلك الصور التي التقطتها التي ليس فيها ذرة من حياء ثم أخذت الفتاة الوسادة وتناولت سماعة الراديو.. تريد أن تنام مبكرا، فغدا يوجد مهرجان غنائي صاخب.

نامت وهي تفكر كم الساعة الآن في بلدي ثم استيقظت تذكر بلدها.. إيمانها النائم وقالت: منذ حضرنا في هذه البلاد ونحن لم نسجد لله سجدة واحدة والعياذ بالله، قامت الفتاة تقلب قنوات المذياع المعد للنزلاء وإذا بصوت ينبعث من ركام الصراخ وركام العويل والمسلسلات والأغاني الماجنات (صوت الأذان) الله أكبر.. الله أكبر صوت ندي وصل إلى أعماق قلبها وأحيا الإيمان في أعماقها، صوت من أطهر مكان وأقدس بقعة في الأرض من بلد الله الحرام، نعم إنه صوت مؤذن الحرم

(*) كتب قصص وعبرات- فهد الحميد -

الذي انساب إلى قلب هذه الفتاة التي هي ضحية واحدة من بين ملايين الضحايا.

ضحية الأب الذي لم يحسن التربية وضحية الأم التي ما عرفت كيف تصنع جيلاً يخاف الله ويراقبه سبحانه وتعالى، تقول هذه المسكينة وكلها حنين إلى ربها سبحانه وتعالى سمعت صوت القرآن وهو بعيد غير واضح.. هالني الصوت، حاولت مرارا أن أصغي الإذاعة التي وصلت إلى القلب قبل أن تصل إلى الآذان، أخذت أستمع إلى القرآن وأنا أبكي بكاءً عظيما .

أبكاني بعدي عن القرآن.. أبكاني بعدي عن الاستقامة.. أبكاني بعدي عن الله عز و جل.. أبكاني بعدي عن الحجاب.. أبكتني تلك الملابس التي كنت أرتديها، كنت أبكي من بشاعة ما نصنع في اليوم والليلة.

فلما فرغ الشيخ من قراءته أصلبني الحنين، ليس للوطن، ولا للمكان، ولا للزمان، ولكن الحنين إلى ربي سبحانه وتعالى فاطر الأرض والسماء، إلى الرحيم الرحمن إلى الغفور الودود، قمت مباشرة فتوضأت وصليت ما شاء الله أن أصلي، لم أصلِّ ولم أسجد لله أو أركع ركعة واحدة خلال شهر كامل، ثم عدت أبحث عن شيء يؤنسني في هذه الوحشة وفي هذه البلاد، فلم أجد سوى أقوام قال عنهم ربي سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد :١٢]

بحثت في حقائبي فلم أجد إلا صورا خليعة وأرقام الأصدقاء، بحثت في أشرطتي عن شريط قرآن أو محاضرة، فلم أجد سوى شريط الغناء، فكان كل شيء في هذا المكان يزيد من غربتي وبعدي عن الله عز وجل، بقيت ساهرة طوال الليل، أحاول

أن أستمع إلى المذياع لعله يسعف قلبي بآية من كتاب الله، لعله يسعفه فؤادي بحديث، لأني والله ما شعرت براحة ولا أمان إلا بعد أن استمعت إلى تلك الآيات والله لا طبيعة ولا جمال ولا ألعاب ولا هواء ولا نزهة أسعدتني كما أسعدني القرآن، جاء الفجر فتوضأت وصليت.. نظرت إلى أبي!! ! نظرت إلى أمي!! ! نظرت إلى إخواني!! !

وإذا بهم جميعهم يغطون في نوم عميق.. فزاد هذا المنظر في قلبي حزنا إلى حزني.. فلما قرب موعد الذهاب إلى المهرجان، استيقظت الأسرة من النوم العميق وأنا لا أزال ساهرة لم أذق طعم النوم فقررت البقاء بالغرفة والتظاهر بالمرض، فوافق الجميع على بقائي وذهبوا إلى هذا المنكر، قالوا: هل تريدين طبيبا .. قلت: لا، فقويت نفسي على الحديث قلت: يا أبي لماذا نحن هنا؟

يا أبي لماذا منذ أن قدمنا لم نصل ولم نسجد لله سجدة؟ يا أبي لماذا لم نقرأ القرآن؟

يا أبي أعدنا سريعا إلى أرض الوطن أعدنا إلى أرض الإسلام. يا أبي اتق الله في أيامي، يا أبي اتق الله في آلامي..

اتق الله في دمعاتي.. فتفاجأ الجميع بهذا الكلام، وذهل الأب والأم والإخوة لهذه الفتاة التي لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها وتقول هذا الكلام، حاول الأب أن يبرر الموقف فلم يستطع، فاضطر إلى السكوت، وفكر كثيراً في هذا الكلام الذي كان يسقي بذرة الإيمان الذابلة في قلبه، ثم قام وأخذ يستعيذ بالله من الشيطان.

تقول الفتاة: والله كأن الجميع كانوا في نوم عميق ثم استفاقوا فجأة فوجدوا

أنفسهم في بركة من القاذورات، قام الأب وهو يردد استعاذته من الشيطان، فأسرع و حجز على أقرب رحلة لم يكن حنينهم إلى الوطن بل حنينهم إلى عبادة الله عز وجل والأنس بقربه

أصبت حداً فطهرني*

جلس الرسول ﷺ يوما في المسجد.. وأصحابه حوله.. جلس كالقمر وسط النجوم في ظلام الليل. يعلمهم.. يؤدبهم.. يزكيهم.. اكتمل المجلس بكبار الصحابة.. وسادات المهاجرين والأنصار.. بالأولياء.. والعلماء.. وإذا بامرأة متحجبة تدخل باب المسجد. فسكت عليه الصلاة والسلام، وسكت أصحابه.. وأقبلت رويداً.. تمشي وجلا وخشية رمت بكل مقاييس البشر وموازينهم..

تناست العار والفضيحة.. لم تخش الناس.. أو عيون الناس.. وماذا يقول الناس.. أقبلت تطلب الموت.. نعم تطلب الموت.. فالموت يهون إن كان معه المغفرة و الصفح.. يهون إن كان بعد الرضا و القبول. حتى وصلت إليه عليه الصلاة و السلام.. ثم وقفت أمامه.. وأخبرته أنها زنت!! ! وقالت: (يا رسول الله أصبت حدا فطهرني).

ماذا فعل الرسول ﷺ؟! هل استشهد عليها الصحابة؟! هل قال لهم: اشهدوا عليها؟! لا، احمر وجهه حتى كاد يقطر دما .. ثم حول وجهه إلى الميمنة.. وسكت كأنه لم يسمع شيئا .. حاول الرسول ﷺ أن ترجع المرأة عن كلامها.. ولكنها امرأة مجيدة.. امرأة بارة.. امرأة رسخ الإيمان في قلبها وفي جسمها.. حتى جرى في كل ذرة من ذرات هذا الجسد..

فقالت واسمع ماذا قالت.. قالت: أراك يا رسول الله تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك.. فو الله إني حبلى من الزنا..!!

(*) قصص وعبرات – فهد الحميد.

فقال: (اذهبي حتى تضعيه). ويمر الشهر تلو الشهر.. والآلام تلد الآلام.. حملت طفلها تسعة أشهر.. ثم وضعته.. وفي أول يوم أتت به وقد لفته في خرقته..

وقالت: يا رسول الله.. طهرني من الزنا.. ها أنا ذا وضعته فطهرني يا رسول الله.. فنظر إلى طفلها.. وقلبه يتفطر عليه ألما وحزنا .. لأنه كان يعيش الرحمة للعصاة.. قال بعض أهل العلم: بل هو ﷺ رحمة حتى للكافر، قال الله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

من يرضع الطفل ويقوم بشؤونه إذا أقام الحد عليها وماتت؟!!

فقال: ارجعي وأرضعيه فإذا فطمتيه فعودي إلي.. فذهبت إلى بيت أهلها.. فأرضعت طفلها.. وما يزداد الإيمان في قلبها إلا رسوا كرسو الجبال.. وتدور السنة تعقبها سنة.. وتأتي به في يده خبزاً يأكلها.. يا رسول الله قد فطمته فطهرني.. عجبا لها ولحالها؟!! أي إيمان هذا الذي تحمله.. ما هذا الإصرار و العزم.. ثلاث سنين تزيد أو تنقص.. والأيام تتعاقب.. والشهور تتوالى.. وفي كل لحظة لها مع الألم قصة.. وفي عالم المواجع رواية.

ثم أتت بالطفل بعد أن فطمته.. وفي يده كسرة خبز.. فأخذ ﷺ طفلها وكأنه سل قلبها من بين جنبيها.. لكنه أمر الله..

قال عليه الصلاة والسلام: « من يكفل هذا وهو رفيقي في الجنة كهاتين ». ويؤمر بها فتدفن إلى صدرها ثم ترجم.. فيطيش دم من رأسها على خالد بن الوليد.. فسبها على مسمع من النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: مهلاً يا خالد والله لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لقبلت منه..

وفي رواية أن النبي ﷺ « أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر - رضي الله عنه -: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت!! فقال النبي ﷺ : لقد تابت توبة، لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى »!! سبحان الله..!!

ما الذي جعلها تفعل هذا كله؟!! إنه الخوف من الله.. إنها الخشية التي لم تزل بتلك المؤمنة حين وقعت في حبائل الشيطان.. واستجابت له في لحظة ضعف.. نعم أذنبت.. ولكنها قامت من ذنبها بقلب يملأه الإيمان.. ونفس لسعتها حرارة المعصية.. نعم أذنبت.. ولكن قام في قلبها مقام التعظيم لمن عصت.. إنها التوبة

نعم إنها التوبة.. ووالله ما سقت لك هذه القصة تهييجاً لعواطفك.. ولا استدراراً لدمعتك.. أو استثارة لمشاعرك.. كلا.. كلا. ولكن لتعلمي أن لهذا الدين.. أبطالاً يحملونه.. يضحون من أجله.. ويسكبون دماءهم.. ويقطعون أجسادهم.. ولئن كان كفار الأمس أبو جهل وأمية.. عذبوا بلالاً وسمية.. فإن كفار اليوم لا يزالون يبذلون.. ويخططون ويكيدون.. في سبيل أن يسلبوا عزك وشرفك.. فاحذري من أن تكوني فريسة لتلك الذئاب البشرية..

أختاه.. تأملي في قصة هذه المرأة.. كيف جادت بنفسها، فلله درها ما أعظم ثباتها، وأكثر ثوابها.. الله أكبر، رجمت، تعبت، تألمت.. لكنها استراحت كثيراً.. مضت هذه المرأة المؤمنة إلى خالقها.. وجاورت ربها.. ويرجى أن تكون اليوم في جنات ونهر، ومقعد صدق عند مليك مقتدر.. وهي اليوم أحسن منها في الدنيا حالاً.. وأكثر نعيماً وجمالاً.. وعند البخاري أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال: « لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما

ولملأته ريحاً.. ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها..

ثبتت على دينها، برغم الفتنة العظيمة التي أحاطت بها، ومن هنا قارني يا رعاك الله بين حال هذه المرأة.. وحال كثير من فتياتنا.. فعجباً والله لفتيات لا تستطيع إحداهن الثبات ولو على إقامة الصلاة.. عجبا لفتيات لا تستطيع إحداهن ترك المحرمات.. من نظر لتمثيلية ساقطة.. أو أغنية ماجنة.. أو ملبس فاضح.. أو اتصالات ومعاكسات.

وأدهشهن شموخ العفة

كان الربيع من العباد الزهاد الخاشعين لله شريفاً عفيفاً يشار إلى نبله بالبنان، ولقد تملك الحسد قلوب شباب من عصره، فأرادوا أن يختبروه فأرصدوا له امرأة جميلة على باب المسجد، وكان ذلك والربيع في عنفوان شبابه، فلما خرج من المسجد أسفرت عن وجها كأنه دارة قمر متظاهرة بأنها ستسأله .

فلما رأى وجهها.. بكى.. فقالت له: ما يبكيك؟

فقال: أبكي لهذا الجمال، يسلك به في سبيل الضلال فيرى في جهنم هذا الوجه وهو جمجمة متفحمة..

فكانت النتيجة: لقد تابت وشوهدت تلك المرأة وهي من ملازمات الصلاة قلبها معلق بالمساجد.

قلت: فأين فتيان وفتيات عصرنا اليوم من هذا الشاب وهذه الفتاة، نحن نأتي للفتن وهم يهربون منها، الفرق بيننا وبينهم أن قلوبهم متعلقة بالله وجلة منه جل جلاله.

صديقات الخير*

هذه قصة لفتاة كان للصحبة الطيبة الأثر العظيم في انتشالها من حياة الغفلة والضياع إلى النور والخير والسعادة فأصبحت بعد ذلك من الداعيات إلى الله فتقول:

عشت بداية حياتي في ضلال وضياع و غفلة بين سهر على معاصي الله وتأخيرا للصلاة عن وقتها، ونوم وخروج للملاهي و الحدائق، والافتتان بالأزياء و الموديلات افتتان شديد، وبعض الناس لا يعدها معصية، كيف لا تكون كذلك وهي كانت تأخذ وقتي كله، كنت أفكر فيها عند الطعام والشراب والنوم.. بل إن هذه التوافه كانت تشغل تفكير حتى في الصلاة..

واستمريت على هذه الحالة وحالتي تزداد سوءا يوما بعد يوم، وفي نهاية المرحلة الثانوية، يسر الله لي الهداية على يد مجموعة من الأخوات استمعت إلى حديثهن فأثر ذلك في مما جعلني بعد التخرج ودخول الجامعة التحق بقسم الدراسات الإسلامية أما حب الدنيا وحب الموديلات التي كانت تسيطر على كياني فقد أزاله عني.. وهذا من فضل الله على ورحمته بي.

كثيرين هم الأشخاص الذين كانوا يتخبطون في ضلالهم.. ففتح الله قلوبهم بأناس أخيار كانوا سببا في هدايتهم.. كم من شخص كان تائها حائرا في دياجير الضلال، فقيض الله له اليد التي تنتشله و تنقذه من براثين الضياع و الفساد فترشده إلى طريق الهدى والصلاح.

(*) كتاب قرناء السوء دمروا حياتي.

معاكسات سبب توبتي؟!! *

أم محمد تقول: سبب توبتي وتركي مصافحة الرجال الأجانب والتزامي بالحجاب الشرعي..

هو شقيق زوجي، صدق رسول الله ﷺ لما وصف أخا الزوج بالحمو، أي الموت..

بعد الزواج مباشرة رحلت إلى منزل زوجي، وسافر زوجي حيث إنه يعمل بإحدى دول الخليج.

ووكل شقيقه الأكبر بأن يتولى أمرنا. كان يحضر إلينا شبه يوميا ويتفقد الأحوال.

وكان لطيفا أول أيامه معنا وبعده أخذ يتصرف تصرفات غريبة. فصبرت حتى حضر زوجي من السفر،

فبعد أن قررت أن أفاتحه في الموضوع عدلت عنه خوفا من أن يحصل بيننا مشاكل،

وسافر زوجي ولكنه بدأ في معاكساته وأخذ يحضر كل وقت إلى البيت بسبب أو بدون سبب،

تعبت من تصرفاته وفكرت كثيراً في الكتابة لزوجي بذلك ولكني تراجعت خوفاً من حصول مشاكل، بحثت في حل آخر لم أجد غير أن أنصحه، ولكن دون جدوى.

(*) من كتاب: دموع النادمات في قصص التائبات..

أصبحت حائرة، ماذا أفعل؟ وأخيرا قلت في نفسي لماذا لا أدعو الله أن يحفظني منه، ولماذا لا أكون مثل فلانة ألتزم بالحجاب وأترك مصافحة الرجال الأجانب، أشياء كثيرة دارت في ذهني.

وقررت بأن أتوب وأرجع إلى الله تائبة، والتزمت بالحجاب الشرعي،

وكتبت لزوجي بأني سأترك مصافحة الرجال الأجانب، وقد شجعني زوجي وأرسل لي كتيبات وأشرطة،

وعندما جاء شقيق زوجي كعادته ورآني ملتزمة بالحجاب وقف بعيدا وقال:ماذا حصل؟

قلت له: إني لن أصافح أي رجل أجنبي عني وإذا كان لديك شيء فاطلبه من وراء حجاب،

وقف قليلاً! ؟! ؟! ثم نكس رأسه وانصرف فقلت: الحمد لله.

كان تركي لمصافحة الرجال الأجناب أول الأمر للتخلص من شقيق زوجي،

ولكني بعد التوبة وجدت الالتزام بأوامر الله يجنب الإنسان الشرور ويحفظه الله من كل سوء،

ولم يحرم الله مصافحة الأجانب إلا إكراما وصيانة للمرأة.

ويكفي قوله ﷺ: «إني لا أصافح النساء».

فعندما عرفت أن هذا خير لي زاد تمسكي بعدم المصافحة والالتزام بالحجاب والبعد عن الاختلاط.

الجوهرة المصونة*

إن الفرق بين المرأة المتحجبة الطاهرة، والمرأة المتبرجة السافرة، كالفرق بين الجوهرة الثمينة المصونة وبين الوردة التي في قارعة الطريق.

فالمرأة المحجبة مصونة في حجابها، محفوظة من أيدي العابثين، وأعينهم.

أما المرأة المتبرجة السافرة، فإنها كالوردة على جانب الطريق، ليس لها من يحفظها أو يصونها، فسرعان ما تمتد إليها أيدي العابثين، فيعبثون بها، ويستمتعون بجمالها بلا ثمن حتى إذا ذبلتْ وماتتْ، ألقوها على الأرض، ووطئها الناس بأقدامهم.

فماذا تختارين أختي المسلمة؟ أن تكوني جوهرة ثمينة مصونة، أم وردة على قارعة الطريق؟

وإليك أختي المسلمة هذه القصة، لفتاة كانت من المتبرجات، فتابت إلى الله، وعادت إليه، فها هي تروي قصتها فتقول:

(نشأتُ في بيتٍ مترفٍ وفي عائلة مترفة، ولما كبرتُ قليلاً بدأتُ أرتدي الحجاب، وكنت أرتديه على أنه من العادات والتقاليد لا على أنه من التكاليف الشرعية الواجبة التي يثاب فاعلها، ويعاقب تاركها، فكنتُ أرتديه بطريقة تجعلني أكثر فتنةً وجمالاً.

أما معظم وقتي فكنتُ أقضيه في سماع لهو الحديث الذي يزيدني بعداً عن الله

(*) العائدون إلى الله جـ ٣ ، محمد عبد العزيز المسند.

وغفلة.

أما الأجازات الصيفية فكنّا نقضيها خارج البلاد، وهناك كنت ألقي الحجاب جانباً وأنطلق سافرة متبرجة،* وكأن الله لا يراني إلا في بلدي، وكأنه لا يراقبني هناك.

وفي إحدى الأجازات سافرنا إلى الخارج، وقدّر الله علينا بحادث توفي فيه أخي الأكبر، وأصيب بعض الأهل بكسور والآم، ثم عدنا إلى بلادنا.

كان هذا الحادث هو بداية اليقظة، كنتُ كلما تذكرته أشعر بخوف شديد ورهبة، إلا أن ذلك لم يغير من سلوكي شيئاً، فما زلتُ أتساهل بالحجاب، وألبس الملابس الضيقة، وأستمع إلى ما لا ينفع من لهو الحديث.

والتحقتُ بالجامعة، وفيها تعرفت على أخوات صالحات، فكنّ ينصحنني ويحرضن على هدايتي.

وفي ليلة من الليالي ألقيت بنفسي على فراشي، وبدأت أستعرض سجل حياتي الحافل باللهو واللغو والسفور والبعد عن الله سبحانه وتعالى، فدعوت ربي والدموع تملأ عيني أن يهديني وأن يتوب عليّ.

وفي الصباح، ولدتُ من جديد، وقررتُ أن أواظب على حضور الندوات والمحاضرات والدروس التي تقام في مصلى الجامعة.

وبدأت -فعلاً- بالحضور، وفي إحدى المرات ألقتْ إحدى الأخوات محاضرة

(*) هذا حال بعض الفتيات اللاتي يسافرن إلى الخارج، فالويل لهن من رب السماوات والأرض، الذي يراهن في كل مكان.

عن الحجاب وكررت الموضوع نفسه في يوم آخر، فكان له الأثر الكبير على نفسي وبعدها -والله الحمد- تبتُ إلى الله، والتزمتُ بالحجاب الشرعي، الذي أشعر بسعادة كبيرة وأنا أرتديه).

توبة فتاة في العشرين*

أ. هـ. فتاة في العشرين من عمرها، أراد الله بها خيراً فوفقها للتوبة والهداية، تروي قصتها فتقول:

كانت حياتي أشبه بحياة الجاهلية، على الرغم من أني ابنة أناس محافظين ومتمسكين بالقيم والمبادئ الإسلامية، كنت لا أحافظ على أوقات الصلاة، حتى أن صلاة الفجر لا أصلّيها إلا بعد الساعة العاشرة.

أرى اخوتي يسهرون في رمضان لقيام الليل وقراءة القرآن، وأنا أحيي الليل بالسهر على أشرطة الفيديو والنظر إلى ما يغضب الله.

وفي ليلة من الليالي وبعد أن آويت إلى فراشي رأيت فيما يرى النائم أني مع مجموعة من الصديقات (قرينات السوء)، وكنا نلعب كعادتنا، فمرتْ من أمامي جنازة فجلست أنظر إليها، وكنَّ يحاولن صدّي عنها، حاولت أن ألحق بها فلم أستطع، فركضت وركضت إلى أن وصلت إليها، وبعد مرورنا بطريق وعر عجزتُ عن مواصلة الطريق، فوجدتُ غرفة صغيرة مظلمة، دخلتها وقلت: ما هذه؟ قالوا لي هذا قبرك، هذا مصيرك، عندها أردتُ أن أتدارك عمري فصرخت بأعلى صوتي أريد مصحفاً، أريد أن أصلي، أريد أن أخرج دمعة تنجيني من عذاب الله الأليم.

فجاء صوت من خلفي قائلا: هيهات هيهات، انقضى عمرك وأنت منهمكة بالملذات.

(*) (العائدون إلى الله جـ ٣ ((محمد عبد العزيز المسند)).

وفجأة استيقظت من نومي على صوت الإمام في صلاة الفجر وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦].

سبحان الله، شريط حياتي أخذ ينطوي أمامي، وقد تداركتني نعمة ربي بأن جعلني أوب إليه قبل الوفاة، فلله الحمد والمنّة.

توبة امرأة غافلة بعد موت زوجها

ن. ع. ص. تحولت حياتها تماماً عندما مات زوجها، تروي لنا القصة فتقول:

كنا في زيارة لأخت زوجي فلما دخلنا (الشقة)، جلسنا في غرفة الاستقبال.. وفجأة وبدون مقدمات سقط زوجي على الكرسي.. صرختُ وأنا مذهولة.. توقعتُ كل شيء إلا أن يكون قد مات.. واتصلنا بالإسعاف وفجأة أخبرنا الطبيب أن زوجي مات.. مات.. مات.. صرتُ أبكي وأصرخ وأنا غير مصدقة لما قاله الطبيب.

لم يخطر ببالي شيء أقوله.. فلم أكن أعرف الله.. ولم أكن أصلي.. ولم أكن ملتزمة بالزي الشرعي.. غير أنني كنتُ خجولة وكنتُ أستحي من الناس.. وكانت نفسي تراودني أن ألبس لباساً ساتراً طويلاً.. إلا أن زوجي كان يمنعني ويعتبر أن هذا عودة إلى عهد (ستّي العجوزة)!! .

كان زوجي لا يصلي وكان بيننا وفاق وحب زائف.. لم يكن همنا سوى الأكل والشرب والفسح والخروج.. والتعرف على آخر موديلات الأزياء..

وبعد موت زوجي انتقلتُ إلى بيت أبي.. فإذا بأختي التي تصغرني بسبع سنوات تلبس الحجاب.. وكانت هي الوحيدة التي تواسيني بحرص وحب.. خففت من صدمتي، وعلمتني أن أقول دعاء ما سمعته من قبل (اللهم أؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها..) قلتها وأنا أبكي.. وعلمتني الصلاة.. وعلى الرغم من اني أعرف الصلاة إلا أنني شعرت أن صلاتي هذه المرة فيها خشوع وخضوع ولذة.. ولبست لباساً محتشماً.. ووجدتُ نفسي مستريحة من داخلي ومطمئنة.. والذي زاد

من راحتي هو قراءة القرآن.. فبدأتُ أحفظ من قصار السور، وعلمتْني أختي أحكام التجويد.. واصطحبتْني معها لبعض الأخوات اللائي ملأن كل فراغي.. وقد بحثن لي عن زوج طيب، فحمدتُ الله الذي هداني.. وأسأل الله أن يغفر لي ما قد سلف.

هو الموتُ ما منه ملاذٌ ومَهرَب ... متى حُطَّ ذا عن نعشه ذاك يركب

نشاهد ذا عين اليقين حقيقة ... عليه مضى طفلٌ وكهل وأشيب

ولكن علا الرانُ القلوب كأننا ... بما قد علمناه يقيناً.. نكذب

نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها ... وعلَّ الردى مما نرجيه أقرب

ونبني القصور المشمخرات في الهوى ... وفي علمنا أنا نموت وتخرب

إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا ... وفي كل يومٍ واعظ الموت يندب

توبتي ومعلمتي

التائبة ع. ص. س. تقول: سبب هدايتي بعد توفيق الله معلمتي الفاضلة..

ثم تروي قصة هدايتها فتقول:

كنت مغرمة أشد الغرام بسماع الغناء الذي حرّمه الله ورسوله، فلا يكاد الحديث عنه وعن أخباره يفارق لساني في أي مجلس من المجالس.. كنتُ أتحدث عنه بسبب وبلا سبب حتى صار الغناء هو غذائي وهوائي ومائي، أستغني عن كل شيء ولا أستغني عنه.

جهاز التسجيل لا يفارقني ليلاً ونهاراً. أتابع أحداث (الفن) وكل جديد، عربياً كان أو غربياً.. لقد اتسحوذ عليّ الشيطان فأنساني ذكر الله حتى صرت من حزبه، وكدتُ أن أكون من الخاسرين لولا أن الله جل وعلا تداركني برحمته ومنّ عليّ بالهداية.

فقد شاء الله -عز وجل- أن تحضر معلمة جديدة، وكان ذلك في منتصف العام الدراسي تقريباً، كانت مربّية فاضلة وأمّاً حنوناً.. كانت تشفق عليّ وأنا أترنم ذهاباً وإياباً، فاستوقفتني مرةً، وقالت لي ألا تعرفين أن الغناء محرم؟ قلتُ: بلى ولكن، مضيعة وقت وتوسعة صدر، فكان ردي السخيف هذا لإسكاتها فقط.. ومن تلك اللحظة وأنا أتحدى تلك المعلمة المؤمنة التي أرادتْ لي الخير والصلاح، فكنتُ كلما رأيتُها أشدو بإحدى الأغنيات، وأرفع صوتي متحديةً لها.

كنت -لفرط جهلي وضلالي- أعتبرها عدواً لي.. أما هي -جزاها الله كل خير- فكانت تنظر إليّ نظرة شفقةٍ ورحمةٍ، فأنا مع الشيطان وهي مع الرحمن.

قالت لي يوماً: ماذا تفعلين لو داهمك الموت وأنتِ على هذه الحال؟؟

قلتُ: إن الله غفور رحيم.. فقاطعتني قائلة: ولكنه شديد العقاب.

قلتُ: ولكن ماذا أفعل؟ لو لم أستمع إلى الغناء.. كيف أقضي وقتي؟!

قالت: اسمعي أشرطة إسلامية.. خطب، ندوات، محاضرات، أناشيد. فكأني أسمع ذلك لأول مرة.

قلتُ: ولكن من أين آتي بها؟!

قالت: الذي أحضر لك أشرطة الغناء يحضر لك الأشرطة الإسلامية المفيدة.

ولما رأتني جادة في قولي أحضرت لي شريطاً بعنوان (تحريم الغناء) وشريطاً آخر عن مشاهد يوم القيامة.

وفي المنزل.. عشتُ صراعاً عنيفاً مع نفسي الأمارة بالسوء ومع الشيطان، فتارة أخرج شريط الغناء من جهاز التسجيل وتارةً أخرج شريط الخطبة.. لا أدري إلى أيهما أستمع، إلى هذا أم إلى ذاك، وأخذت أقول: يا رب ماذا أفعل؟ وما هي إلا لحظات حتى وقع سمعي على أهوال يوم القيامة، ووصف الجنة والنار. فأحسستُ أن قلبي يكاد ينفطر وانفجرتُ بالبكاء حتى ظننت أني أبكي بدل الدموع دماً وشريط العمر يمر أمامي سريعاً.. أحاول أن أتناسها بالبكاء وبالنحيب ولكن دون جدوى.. فأسرع إلى ما لديّ من أشرطة الغناء أكسّرها واحداً تلو الآخر.. أحطم ما وقعت عليه يدي قبل عيني معلنة التوبة الخالصة لله تعالى ولسان حالي يقول: ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

ونصيحتي لأخواتي المسلمات أن يحذرن من سماع الغناء، الذي لا يزيد الإنسان إلا بعداً عن الله تعالى وغفلة عن ذكره، وذلك -والله- هو الخسران المبين.

توبة امرأة أوشكت على الهلاك*

تقول هذه المرأة:

نشأت في أسرة عربية مهاجرة، مكوّنة من أب وأم وأربع بنين وبنتين، كنت أنا أصغرهم.. وفي أحضان هذه الأسرة ترعرعت وتربيت..

أبي وأمّي يصليّان والله الحمد، لكنّي لم أرهما يوماً ما يأمران أحداً منّا بالصلاة، أمّا أنا فقد ألهمني ربّي – ولله الحمد- المحافظة على الصلاة وأنا في السابعة من عمري، وأواظب عليها. وارتديت الحجاب وأنا في العاشرة من عمري..

كنت أقوم من الليل، وأحافظ على نوافل الصلوات والصيام، وأحيي رمضان وحدي.. ظللت على هذه الحال حتّى التحقت بالمرحلة الثانوية، فأحسست بشيء من الفتور في العبادة، وبخاصة النوافل، وكذا الخشوع في الصلاة، وتلاوة القرآن، مع محافظتي على الفرائض.. فكنت إذا ما جنّ الليل أحاسب نفسي، وأبكي على حالي، فإذا ما أصبح الصباح نسيت حالي، وألهمتني مشاغل الحياة..

وظللت على هذه الحال حتّى أنهيت المرحلة الثانوية وما بعدها..

ثمّ تقدّم لخطبتي رجل طيّب، يعمل في أمريكا، فوافقت عليه وتزوّجنا.. كان – ولله الحمد – خيّراً، فكان يشجعني على لبس الحجاب حتّى ونحن في وسطٍ كافر، على الرغم من أنّه في تلك الفترة لم يكن محافظاً على الصلاة والصيام، وقد طلبت منه صيام شهر رمضان معي، فصامه والله الحمد، ودعوته إلى الصلاة فوعد خيراً،

(*) (العائدون إلى الله جـ ٣ ((محمد عبد العزيز المسند)).

ومع ذلك كلّه كنت متعلّقة بسماع الغناء، والخروج إلى الأسواق، فلم تكن صلاتي تنهاني عن كثير من المنكرات والذنوب، فالقلب لم يزل في أسر المعاصي.

وذات يوم خرجت من الحمّام بعد أن اغتسلت، كانت الريح شديدة وقويّة، وكانت نافذة المطبخ مفتوحة، فاتّجهت لإغلاقها، فأحسست بلفحة هواء، وبعد فترة قصيرة أحسست بصداع شديد في رأسي، فتناولت دواءً لتخفيف الصداع، ولكن دون جدوى، فبدأ الألم يزداد، والحالة تتطوّر من صداع إلى حرارة ثمّ رعشة قويّة، فلمّا حضر زوجي – وكان طبيباً – أعطاني دواء آخر فهدأ جسمي قليلاً لمدّة دقائق، ثمّ عادت الرعشة من جديد، فمكثت في البيت على هذه الحال خمسة أيّام مع تناول الدواء، لكنّ الدواء لم يؤدّ مفعوله.. ثمّ تطوّرت الحال إلى الأسوأ، حيث أصبت بتورّم في القدمين، وعدم القدرة على الحركة إلّا قليلاً، فقرّر زوجي نقلي إلى المستشفى، وفي الصباح الباكر تركت أطفالي عند جارة لي مسلمة كانت لهم خير أمّ جزاها الله خيراً..

فلمّا دخلت المستشفى، ورأى الطبيب حالتي، أسرع بي إلى قسم الطوارئ.. لقد كنت من قبل أرى مثل هذا المنظر في التلفاز، ولم أكن أتوقّع في يوم من الأيّام أن أكون أنا صاحبة هذا المنظر.. فترى المرّضات يضعنني على السرير المتحرّك، ويسرعن بي إلى غرفة الإنعاش، ثمّ تأتي أخرى فتغرز في يدي إبرة التغذية – وذلك أنّ جسمي كان قد هزل من قلّة الأكل، لأنّني في تلك الفترة كنت كلّما أكلت شيئاً ولو يسيراً استفرغته.. وأخرى تقوم بقياس الضغط، وثالثة تسرع لإحضار حقنة لتسحب من دمي وتفحصه.. كأنّي تماماً في مشهد تمثيلي تلفزيوني لا حقيقيّ..

كنت وقتها لا أملك إلّا نظرات شاردة، فلساني قد ثقل عن الكلام بسبب

الحرارة العالية، والرعشة القويّة، وقدماي قد ثقلت عن الحركة بسبب الأورام، والأعضاء منّي قد سكنت إلّا من قلب واهن ينبض ببطء، فلم أجد ما أعبّر به عن آلامي في تلك اللحظات إلّا بقطرات من الدموع خرجت بصعوبة بالغة، ومع ذلك لم أستطع مسحها، لأنّ يديّ كانتا غير قادرتين على الحركة.

وفي صباح اليوم التالي قام الأطبّاء بإجراء فحوصات شاملة لسائر أعضاء الجسم للتعرّف على سبب الحرارة والعمل على خفضها، إذ هي سبب المشكلة، فقاموا بفحص القلب والرحم والعظام والدم، وعمل أشعّة للدماغ والجسم كاملاً، فكانت النتائج كلّها سليمة!!

فاحتار الأطبّاء في أمري، حيث عن عجزوا معرفة مسببات الحرارة في جسمي، فقاموا باستدعاء أطبّاء آخرين من ولاية أخرى، فاقترحوا أن يستمرّ فحص الدم يومياً لاحتمال وجود جرثومة فيه، فكانوا يومياً يأخذون عينة من دمي، والنتيجة: لا شيء. فأصبحت في حال لا يعلمها إلا الله..

أمّا الممرضات المشرفات على حالتي فكنّ يواسينني، ويطمئنني، على الرغم من علمهنّ بحالتي شبه الميؤوس منها، فكنّ يقلن لي: إنّك سوف تخرجين، وترين أولادك، وتلاعبينهم.. وذلك أنّني منذ دخلت المستشفى لم أرهم، لأنّ الزيارة كانت ممنوعة عنّي.

وذات مرّة قامت رئيسة الممرّضات بغسل شعري وتسريحه، فسرح ذهني بعيداً، وتذكّرت هادم اللذات: الموت، وقلت في نفسي: الآن يغسلون شعري، وغداً يغسلون جسمي، ويحنّطونه، ويكفّنونه، ويصلّون عليّ، ويدفنوني تحت التراب، ويفارقني الأحباب، فأكون رهينة الحساب..

فبكيت كثيراً، والممرّضة بجانبي لا تعلم ما يجول في خاطري، فكانت تواسيني، وتعدني بالشفاء والخروج من المستشفى..

وبعد أن فَرَغَتْ من تسريح شعري، وترتيب ملابسي، أعادتني إلى غرفتي، وقالت: أتركك الآن لترتاحي قليلاً.. فكنت أدعو لها بالهداية، جزاء ما فعلته بي.

كان تفكيري لا يزال متعلّقاً بذكر الموت، فقلت في نفسي: يا نفس: ها أنت تموتين رويداً رويداً، فماذا قدّمتِ من صالح الأعمال؟ وبدأت في محاسبة نفسي.. فتذكّرت سيّئاتي من سماع الغناء صباح مساء، ومشاهدة التلفاز، وما أدراك ما التلفاز وما فيه من المسلسلات والأفلام.. لدرجة أني كنت أؤدي الصلاة بسرعة حتّى لا يفوتني شيء منها.. ناهيك عن حبّ الأسواق وغيرها من الأماكن المختلطة التي كنت أخرج إليها مع زوجي..

وبكيت وبكيت، حتّى أنّي من شدّة البكاء ومحاسبة نفسي نسيت أنّي مريضة..

وفي اليوم التالي، وهو اليوم الحادي عشر من تاريخ دخولي المستشفى، جاء الاطبّاء لرؤيتي، فلم يلحظوا أيّ تحسّن، بل لم تزدد حالتي إلا سوءاً، وأعلن الأطبّاء يأسهم من حالتي، وقالوا لزوجي: إن كان لزوجتك أهل وأقرباء هنا في أمريكا فليأتوا لرؤيتها، قبل ألّا يتمكّنوا من ذلك.

كنت أسمع ما يقولون وأفهمه لكنّي لا أتمكّن من الكلام ولا حتّى الحركة.

ثمّ خرج الجميع من عندي، وكانت ساعة المغرب، فلم يزدني ذلك إلا بكاءً.. لا أبكي لأني سأفارق أولادي وزوجي، وإنّما أبكي خوفاً من ذنوبي، فبمَ أقابل ربّي إن أنا متّ على هذه الحال؟

وعدت إلى محاسبة نفسي، فقلت: هل لي من حسنات ألقى الله بها؟

وتذكّرت، فقلت: يا ربّ: إنّي كنت بارّة بوالديّ حتّى سافرت إلى هذه البلاد، ومنذ سنين عديدة لم أرهم، ورغم البعد عنهم فإنّي أدعو لهم، وأسألك يا ربّ أن تعينني على البرّ بهم دائماً.

أمّا جيراني وصديقاتي فلا أذكر أنّي آذيت أحداً منهم يوماً ما، بل كنت بينهم محبوبة مألوفة..

فقلت في نفسي: وهل يغفر الله لي بهذا العمل ما حصل منّي من تقصير وذنوب؟

فما زلت على هذه الحال من المحاسبة الشديدة والبكاء، وتذكّر الجنّة والنار، وما فيهما من النعيم، والجحيم والأغلال، حتّى دخل وقت صلاة الفجر، وعيناي تذرفان الدموع، وفي ختام هذه المحاسبة، وبعد استسلامي لأمر الله وقضائه، دعوت الله عزّ وجلّ بالدعاء المأثور: ((اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفّي إن كانت الوفاة خيراً لي..)).

غبت بعدها عن الوعي، فلم أشعر بنفسي إلّا والممرّضة تضع يدها على كتفي، لتوقظني وتدعوني لتناول الدواء، وفتحت عيناي، فإذا بها تنظر إليّ بدهشة بالغة، وتخرج مسرعة إلى باب الغرفة لتتأكّد من الاسم.. فهل يعقل أن تكون هذه هي المرأة التي عجز الأطباء عن علاجها بالأمس، بل أعلنوا يأسهم من شفائها؟!! إنّها الآن في حال مختلف..

يا إلهي.. ما الذي حدث، هل أنت حقّاً فلانة؟!! ، قالت الممرضة بلهجتها

الأمريكية، فنهضتُ، وجلستُ، وأخذتُ منها بيدي حبّة الدواء وتناولتها، فشربت عليها الماء، ثمّ فتحت حقيبتي وأخرجت منها المصحف فاحتضنته بقوّة وأنا أبكي، ثمّ قرأت منه بعض الآيات بتدبّر وخشوع.. فإذا بالمرضة تصرخ، وتنادي الأطباء والممرّضات لينظروا إليّ، فجاؤوا مسرعين، وقد ظنّوا أنّي قد فارقت الحياة، فلمّا دخلوا الغرفة، ورأوني على تلك الحال، أصيبوا بالدهشة، ومن الممرّضات من لم تتمالك نفسها فأجهشت بالبكاء، وتساءلوا جميعاً.. ماذا جرى؟.. وما الذي حدث؟.. وكيف حصل الشفاء؟! ..

فأجبتهم بأنّ الله عزّ وجلّ هو الشافي. ألم يقل سبحانه:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال سبحانه:﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

المهم هو صدق اللجوء إلى الله والتوجّه إليه سبحانه، وعدم استعجال الشفاء مهما طالت المدّة، مع بذل ما يمكن من الأسباب..

وبعد خروجي من المستشفى قامت إحدى الصديقات بزيارتي، وأخبرتني عن حلقة أسبوعية لبعض الأخوات العربيات المسلمات، يتذاكرن فيها العلم، فوفّقني الله لحضور هذه الحلقة، ومع أنّ مقرّها يبعد عنّا مسافة خمس وأربعين دقيقة، إلّا أنّ زوجي كان يوصلني إليها جزاه الله خيراً..

ثمّ بدأت بالمواظبة على الحضور، ثمّ المشاركة ببعض الموضوعات، وبعد سنة من حضوري والتزامي انتخبوني رئيسة للحلقة..

وبعد سنتين شاء الله عزّ وجلّ أن نغادر بلاد الكفر، إلى خير البقاع وأطهرها، هذه البلاد الطيبة، فقد وُفّق زوجي إلى عقد عمل مع أحد المستشفيات هنا ولله الحمد، وقد كتب الله لنا أداء فريضة الحجّ، والاعتمار ثلاث مرّات ولله الحمد والمنّة..

بين الغناء والقرآن*

منذ صغري تربيت على مائدة القرآن الكريم في أحد المراكز الخيريّة لتحفيظ القرآن في مدينتي، وكان من توفيق الله لي أن تعلّمت تلاوة القرآن وترتيله وتجويده.

ولكني – عياذاً بالله – كنت بئس حاملٍ للقرآن، فقد كنت – مع إجادتي للقرآن – مغرمة بسماع صوت الشيطان: الغناء، فقد كنت أحبّه حبّاً جمّاً، ولا أطيق الصبر عنه.

وفي المرحلة الثانوية وقعت في بليّة أخرى، فقد أحببت إحدى المعلّمات – وكانت متدينة – لكني عند ما أتذكر طريقة حبّي لها أقول: لقد كان حباً شيطانياً، وإن ما كان يحدث لي عند مرآها مما لا أستطيع وصفه، لأكبر دليل على ذلك.. كانت تدعوني وبعض أخواتي في الله إلى حضور المحاضرات النافعة، وكنت أذهب إليها ليس رغبة في سماع جميل الكلام ومفيده، ولكن لرؤية تلك المعلّمة، فكنت أفعل المستحيل من أجل الذهاب..

وفي مرة من مرات ذهابي إلى إحدى المحاضرات، وكانت في شهر رمضان المبارك، تكلّمت المحاضرة عن الحياة البرزخيّة وما بعدها، فجالت خواطر كثيرة في مخيّلتي.. تذكّرت القبر وما فيه من الأحوال والأهوال، وتذكرت البعث والنشور والنفخ في الصور، وما يتبع ذلك من الحساب والعذاب، ومن ذلك اليوم بدأ عقلي يفكر في سلوك طريق الخير والهدى والرشاد، وقد واكب بداية اختبارات نهاية العام، فكنت أبكي لعدم تمكني من الجلوس مع نفسي –ولو قليلاً– لمحاسبتها،

(*) (العائدون إلى الله جـ ٣ ((محمد عبد العزيز المسند)).

وابتداء السير في الطريق، وكنت أدعو الله عز وجل أن يبقيني على قيد الحياة حتى انتهاء الامتحانات لأتفرّغ لنفسي!! وانتهت الامتحانات، فوجدت في نفسي شغفاً لقراءة الكتب الدينية، وخصوصاً ما يتعلق بالقبر واليوم الآخر، وقلت: عليّ أن أعمل حتى يقيني الله عذابه..

ووقع في يدي كتاب، ولكنه كان أكبر من سني، ولا يلائم من بدأ لتوّه مثلي في اختيار طريق الصلاح! إلا أني وجدت لذة في قراءته، فترك انطباعاً عكسياً في نفسي، حيث كرهت الجهل الذي أعيش فيه، واعتزلت أهلي ومن حولي، وانطويت على قراءة الكتب، ومحاسبة النفس بشدة، وأكثرت من العبادات والتسبيح، فلا أخرج من غرفتي إلا لطعام أو حاجة ملحة، كنت حتى في صلاتي أحاسب نفسي على عطسة أو تثاؤب صدر مني فيها، وأذمّها، وأؤنّبها قائلة: ألا تخجلين أن تفعلي هذا وأنت بين يدي الله.

واستمرّ التشدد.. لا خروج، ولا حتى طعام يسند الجسد، بل طعام قليل جداً اعتقاداً مني أن ذلك تطبيقاً لقول الرسول ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع». حتى أصابني الهزال، واصفر لوني، ثم جاءت السنة الدراسية الجديدة، فإزدادت متاعبي وآلامي، إذ كيف لي أن أوفّق بين العبادات - التي كنت أظنّها الصلاة والتسبيح ونحو ذلك فقط - وبين المذاكرة والدراسة!! . وكان من نتيجة ذلك أن ازدادت ساعات نومي، وفقدت الثقة في نفسي، حتى أثر ذلك في مستواي الدراسي، فقد كنت دائمة التأنيب لنفسي، واتّهامها بالتقصير وعدم الإخلاص..، وصدق المصطفى ﷺ حين قال: «.. ولن يشاد الدين أحدٌ إلا

غلبه..))*. فأنا ممن فعل ذلك حتى سئمت معيشتي الروحانية، وعلمت بأنني على خطأ، وكنت أتساءل: إذاً كيف تطهر النفس؟.. أريد نفساً زكيّة لا تخشى إلا الله، فقد كنت أقول أفظع الكلام عن نفسي أمام رفيقة عمري، فكانت تؤنبني، وتقول لي: لو كنت لا أعرفِك لصدّقت كلامك..

وبتوفيق الله عز وجل، ثم بدعوات والدي العزيزين لي بالهداية وأن يبعد عني الشيطان ووساوسه، وبدعوات أخواتي لي، ودعواتي لنفسي أن يفرج كربي، ويهديني إلى الطريق القويم، أعادني الرحمن إلى رشدي، وعرفت طريق العبادة الحقّة، وأنّ كل ما يفعله المؤمن مما يرضى الله عز وجل هو عبادة، كما قال سبحانه:

[الذاريات: ٥٦].

وها أنذا أجد الرحمن في كل يوم يزيدني من جوده الفيّاض، فالحمد له على نعمائه وجوده.. فقد اخترت طريق الحق والصلاح فأعانني وهداني إليه.. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات..

(*) جزء من حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه عن أبي هريرة.

توبة امرأة من إتيان العرافين والكهنة*

ورد في الحديث الشريف: « من أتى عرّافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »*، وفي حديث آخر: « من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول: فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »*.

قال العلماء في الجمع بين هذين الحدثين: من أتى كاهناً أو عرّافاً ولم يصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، فإن صدقه، كفر بما أنزل على محمد ﷺ، ومن تاب، تاب الله عليه.

تقول هذه التائبة:

تزوجت في السابعة عشرة من عمري، وأنجبت بنتاً واحدة.. عشت حياة ترف مع زوجي: حفلات.. سهرات.. تبرج.. نسينا الله والدار الآخرة، وجعلنا الدنيا وملذّاتها صوب أعيننا، وزينها لنا الشيطان فكانت في أبهى زينتها.. ومضت الأيام، والأعوام، ولما بلغت ابنتي اثني عشر عاماً، تاقت نفسي للإنجاب مرة ثانية، واتفقت أنا وزوجي على ذلك، فكان الحمل، لكنّ حملي هذه المرة لم يكن طبيعياً، ففي كل زيارة للطبيب يقول لي: إن حملك هذا غير سليم، ولمن يمر هذا الشهر إلا وسيحدث لك إجهاض!!.

صُرفت لي أدوية كثيرة، وحقن، و.. و.. لكن زوجي لم يكن مطمئناً.. فأخذ

(*) (العائدون إلى الله جـ ٣ «محمد عبد العزيز المسند»).

(*) أخرجه مسلم في صحيحه.

(*) أخرجه أهل السنن.

يتلفت يميناً وشمالاً، وفوجئت به مرة يقول لي: لقد وجدته، إن يده مباركة، وما إن يعمل لك عملاً حتى ينجح فيه، تعالي نزوره.

وذهبت معه إلى ذلك الرجل، كان عرافاً، وما إن مثلت بين يديه حتى بدأ العمل: بخور، وكلمات، وهمهمات.. لم أفهم منها شيئاً.. المهم أن كل ما طلبه مني قمت بعمله، لكن الآلام لم تبرح تعاودني بشكل مستمر، ولما زرت الطبيب لأسأله مرة ثانية ن قال لي مثل ما قال لي في المرة الأولى: انتظري إجهاضاً.. ثم عرض علي حقناً تساعد على تخفيف الألم.. فكنت أرفض بشدة، وأعيد زياراتي للعراف الفلاني، والكاهنة الفلانية، هذا بالبخور، وذلك بالتمائم، وتلك بأعمال مختلفة من ضروب الشعوذة، حتى ضاق صدري واختنقت، ولم أعد أطيق الصبر، وبدأت تترآى لي في المنام أحلام مزعجة لا أفهمها، ولا أحرص على تفسيرها.. باختصار، عشت حياة يائسة كادت أن تقودني إلى الجنون..

وفي لحظة شعرت وكأن الزمن قد توقف.. أخذت بكل تلك التمائم وألقيتها أرضاً، ورفعت يدي إلى السماء.. وقلت بصوت مسموع والدموع تملأ عيني: (سلمت أمري لك يا رب، فأعني)..

وما هي إلا أيام حتى هدأت العاصفة.. لا ألم، ولا نزيف، ولا وساوس.. أحسست باطمئنان غريب في نفسي.. قمت فاغتسلت وتطهّرت ثم صليت، فكانت أول صلاة لي منذ زمن طويل.. وأحسست براحة عجيبة، وارتاح من حولي، وزرت الطبيب، فاندهش لحالي، وقال لي: ماذا فعلت؟ قلت: لا شيء سوى أني توكلت على الله، ومن توكل على كفاه.

انتهت مدة الحمل، وأنجبت بنتاً مكتملة الخلق ولله الحمد، وداومت على صلاتي

من غير أن أطبق شيئاً آخر من تعاليم الإسلام من حجاب أو غيره..

ولما بلغت بنتي العامين ونصف العام بدأت تتحدث بطريقة عجيبة، كانت تقول ماما ماما، أتحبين الله؟ فأجيب: نعم، بالطبع، فتقول: ماما، إن الله يحبّنا إذا أعطانا الخبز والبيض والماء..!

ومرة قالت: ماما، صفي لي رسول الله ﷺ. قلت: إنه جميل جميل جميل.. أعدتها عدة مرات، فقاطعتني قائلة: إيه جميل!! ماما، لا تقولي جميل، قولي: (منَوّر). وهي كلمة عاميّة في الجزائر، مشتقة من النور ومعاني أخرى عدة..

كلمات كثيرة كانت تقولها، أظل أياماً أفكر فيها، وبعد أن رويت لإحدى أخواتي عن طريقة حملي، وعن كلام ابنتي، أهدتني كتاباً عن الدعاء في السنّة، تعلّمت منه الكثير، ونصحتني بالحجاب، فارتديته. ودخلت المسجد لأول مرة، وتعرفت على الصحبة الصالحة، التقية النقية، التي تخاف الله، فكان ذلك عوناً لي على معرفة ديني بطريقة لو عرضت على الكفار لدخلوا في دين الله أفواجاً.. ويكفيني منهم الكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة التي يلقونني بها، وحقاً إن تبسمك في وجه أخيك صدقة، كما قال النبي ﷺ.

ثم بدأت الجهاد في بيتي مع زوجي وبناتي، والحمد لله، فمنذ شهور قليلة فقط بدأ زوجي يعرف الطريق إلى المسجد، أما ابنتي الكبرى فقد ارتدت الحجاب، وهي من المستمعات المطيعات، فهي تقرأ معي الكتب التي أستعيرها من المسجد أو من بعض الأخوات الصالحات، وقد اقتنعت أخيراً بحرمة الغناء، واجتنبته بلا جدال، وكذا أشياء أخرى لا تعد، فلله الحمد والمنة، أولاً وآخراً.

الحب المحرم*

تقول هذه الفتاة: عشت في أسرة طيبة.. مسلمة بالوراثة، وكنت دائماً أظن أن الإسلام مجرد صلاة وصوم وارتداء للحجاب وكف الأذى عن الناس فقط لا غير.. فارتديت الحجاب في المرحلة المتوسطة، وكان هدفي أن أعيش حياتي القادمة في التزام حقيقي بالدين.

ولكن.. لم أجد من يعرفني بديني.. لم أجد من يُهدي إلي كتاباً أو نصيحة.. كنت أحب الله بطريقة خاطئة، فلم أسلك الطريق الصحيح لأعرفه – جل وعلا – حق المعرفة.

وانتقلت إلى المرحلة الثانوية بنفس الرغبة في بلوغ أقصى درجات التدين، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.. رفيقات السوء للاتي كن أعز الصديقات رسمن لي طريقاً معوجاً، فتغير هدفي، وتبدلت غايتي، وزين لي أولئك الرفيقات ما كنت أستقبحه، وأذكر أنه كانت لي رفيقة في الصف، متدينة ومتخلّقة، وكانت دائماً تقول لي: (أنت أخجل صديقة عرفتها في حياتي).. صحيح أني كنت كذلك، لكنها لم تقدم لي النصيحة وأنا أنجرف في تيار الأخريات. لم تمد يدها لتنقذني، بل تركتني على شفا حفرة مظلمة، ولو لا رحمة ربي الواحد الأحد لكنت الآن في هاوية الضلال..

لقد أصبح حجابي زينة في نفسه، وارتكبت برفقة قرينات السوء الكثير من المنكرات.. ثم انتقلت إلى المرحلة الجامعية، وهناك كانت لدي الحرية المطلقة، حيث

(*) (العائدون إلى الله جـ ٣ ((محمد عبد العزيز المسند)).

كنت أسكن بسكن الطالبات.. رفيقاتي كن يفقنني جمالاً، وكان الطلاب في المعهد وخارجه يسألون دائماً صداقتهن، فكن أغار منهن لأنني – ولحسن الحظ – لم أجلب انتباه أحد، لأن لباسي لم يكن طراز الموضة، وكنت أحسب أن لا جمال لدى على الإطلاق، وصار هذا هو همي: أن أبرهن لصديقاتي المغرورات بجمالهن أن هناك في الجو شاباً أنيقاً يريدني صديقة!! أو حبيبة! بل زوجة في المستقبل.. ولم لا؟. ولأبرهن لنفسي الأمارة بالسوء أني جميلة ومطلوبة، وكان هذا هو حال معظم الطالبات إن لم أقل كلهن!! فيا أيها الآباء الغيورون على بناتكم، لا تتركوهن في الأحياء الجامعية، وامتثلوا أمر الله فيهن: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومع هذه الرغبة الملحة في اقتناء صديق، منعني حيائي –أو ما تبقى منه– أن أقع في مثل هذا المنكر العظيم، والله يعلم أني ما كنت أبغي الزنى، ولكن العين تزني،

لم أكن أغض بصري، وكأن نظراتي الطليقة تسأل الناس: هل من شاب يناسبني وأناسبه؟ وكان الشيطان حاضراً ومعيناً، فسرعان ما وجدت الشاب المناسب!! كان يكبرني بسنة تقريباً، الكثير من الطالبات فتن به، كان قرينات السوء يشجعنني على الاستمرار، ويقلن لي: (يا لحظك العظيم!! شاب بهذه المواصفات لك أنت! جميع الطالبات سيغرن منك إذا رأينك تقفين معه) وكلام من هذا القبيل، حتى امتد حبه في قلبي جذوراً عميقة، فمن ذا الذي يستطيع اقتلاع تلك الجذور، ولكن الله الفعال لما يريد أراد الا أضيع، فقد كان ذلك الشاب أفضل مني بكثير.. كان خجولاً جداً، يكره مصاحبة الفتيات، وما كادت السنة الجامعية تؤذن بالانتهاء حتى ترك المعهد ورحل دون أن يكترث بما كنت أقدمه له من نظرات!!

زادني رحيله ألماً وحسرة وعذاباً، حتى إني لم أعد أطيق المذاكرة، وانتهت السنة، ثم السنة الموالية، وما زلت أعيش بنفس الأحزان على فراق الحبيب الموهوم.. حتى جاءت السنة التي تليها.. وجدت أن حياتي لم يعد لها معنى أو هدف.. سنوات مضت وضاعت، فهل سأعيش هكذا بلا هدف؟! فكرت، ثم فكرت، فلم أجد حلاً أفضل من النسيان.. حدّثت نفسي أنني لو أنصت إلى شريط في وصف الجنة والنار أهداه إلي أحد الأقارب، لربما أتعظ وأنسى.. وبالفعل، كان لي بالمرصاد، واقتلع من صدري جذور الوهم.. لقد مزق قلبي، وأفرغه من القيح والصديد، وكل ما علق به من آثار المعاصي.. واستمعت إلى أشرطة أخرى كثيرة، كانت بفضل الله سبباً لتوبتي وأوبتي إلى خالقي جل وعلا، وأقلعت عن سماع الغناء، والنظر إلى ما حرم الله في التلفاز وغيره..

وبدلت حجابي المزيف بآخر حقيقي.. لكن بقي شيء واحد لم أغيره.. وجودي المستمر في الجامعة الشيطانية بين قرينات السوء، والاختلاط، والمنكرات المتفشية، وبعون الله تعالى تخلّصت من أمور كثيرة، وابتعدت عن قرينات السوء، فاستعدت حيائي الذي ضيّعته سنوات عدة.

وفي هذه الأثناء تقدّم لخطبتي شاب متدين.. لا تتصوّر كم كنت سعيدة.. هل فعلاً سأتزوّج، وأعيش حياة طاهرة كما كنت أحلم وأنا في المرحلة المتوسّطة.. دين وخلق..

لكن.. ما زلت بالجامعة.. بقي عام على التخرّج، فكنت أخادع نفسي بحبّ الدنيا والدين في آن واحد، وكان ذلك الطالب يطاردني حتّى في الحلم..

وجاءت الضربة الصاعقة لتوقظني من سبات دام سنوات.. انسحب الخطيب

وأهله، فلقد أخطئوا المنزل والعنوان.. كانوا يقصدون الشارع الموالي، ويريدون تلك التي تلبس الجلباب والحجاب، ولم تدرس بالجامعة قط.. تذكّرت عند ما قالت والدته: (كان ولدي يصلّي آناء الليل، ويدعو الله دائماً أن يرزقه الزوجة الصالحة..)

إذن لم أكن صالحة على حدّ قولها، وهذه هي الحقيقة، لأنّي لم أكن مخلصة، كنت مخادعة..

مرّ أسبوع أو أكثر وأنا أذرف الدموع حزناً على نفسي لعدم صفائها وصلاحها، فجدّدت توبتي لعلّ الله أن يهديني هذه المرّة.

وعدت إلى الجامعة من جديد، فكنت أجتهد في المذاكرة، وأجتهد في قراءة القرآن والكتب الفقهية النافعة، لكنّ الشيطان زيّن لي طريقاً إلى ذلك الوهم فتعلقت بطالب أخر، كنت كلّما دخلت من باب الجامعة أشعر وكأنّ الشياطين تستقبلني وتحملني على أيديها الخبيثة لتوصلني هدية إلى ذلك الطالب الذي لا يفارق وجوده مكاني..

أدركت حقيقة نفسي وما الذي تبغيه. احترق قلبي بالدموع المُرّة.. لماذا لم تتغيّر هذه النفس على الرغم من الجهود التي أبذلها في سبيل ذلك؟

فجأة.. اتّخذت قراراً حاسماً.. تركت الجامعة..

تركها كان هو الحلّ الوحيد لمشكلتي.. رميت بشهادة التخرّج التي كنت أحلم بها عرض الحائط فارّة بنفسي إلى البيت..

ياه.. كم هي الحياة في البيت سعيدة وهادئة.. خالية من الذنوب والمعاصي..

أصبحت أجد لذّة عظمية وأنا أقوم بالعبادات والطاعات، ومعظم وقتي أقضيه في دراسة كتب العقيدة والفقه والسيرة، وبعون الله تغلّبت على النفس والهوى..

نصيحتي الوحيدة التي أقدّمها لأخواتي: إيّاكنّ والاختلاط.. إيّاكنّ والاختلاط.. إيّاكنّ ورفيقات السوء..

وإلى الآباء: لا تتركوا بناتكم في الأحياء الجامعية المختلطة..

وإلى الأمّهات: رغّبن بناتكنّ المكوث في البيت والبقاء فيه..

وإلى الشباب عامّة: والطلّاب في الجامعات بخاصّة: اتّقوا الله في أنفسكم، وفي بنات المسلمين.. عودوا إلى الله، ولا تغرّنكم الحياة الدنيا..

وبعد؛ أسأل الله عزّ وجلّ أن ينفع بقصّتي كل عاشقة للدنيا، زاهدة في الآخرة..

وأقول: والله لن تنالي شيئاً ببعدك عن الله.. والسعادة كلّ السعادة تكمن في القرب من الواحد الديّان..

اللهمّ اجعلني أمّاً صالحة.. واجعلني قدوة لبناتي، واهد قلوب المسلمين.. آمين..

بين
الشهرة والتوبة

توبة الممثلة شمس البارودي

في حوار أجرته إحدى الصحف مع شمس البارودي الممثلة المعروفة التي اعتزلت التمثيل وردّاً على سؤال عن سبب هدايتها قالت:

البداية كانت في نشأتي.. والنشأة لها دور مهم. والدي -بفضل الله- رجل متدين، التدين البسيط العادي.. وكذلك كانت والدتي -رحمهما الله- كنت أصلي ولكن ليس بانتظام.. كانت بعض الفروض تفوتني ولم أكن أشعر بفداحة ترك فرض من فروض الصلاة.. وللأسف كانت مادة الدين في المدارس ليست أساسية وبالطبع لم يكن يرسب فيها أحد ولم يكن الدين علماً مثل باقي العلوم الأخرى الدنيوية.. وعندما حصلت على الثانوية العامة كانت رغبتي إما في دخول كلية الحقوق أو دراسة الفنون الجميلة، ولكن المجموع لم يؤهلني لأيهما.. فدخلت معهد الفنون المسرحية، ولم أكمل الدراسة فيه حيث مارست مهنة التمثيل.. وأشعر الآن كأنني دفعت إليها دفعاً.. فلم تكن في يوم من الأيام حلم حياتي ولكن بريق الفن والفنانين والسينما والتليفزيون كان يغري أي فتاة في مثلي سني -كان عمري آنذاك ١٦-١٧ سنة- خاصة مع قلة الثقافة الدينية الجيدة.

وأثناء عملي بالتمثيل كنت أشعر بشيء في داخلي يرفض العمل حتى أنني كنت أظل عامين أو ثلاثة دون عمل حتى يقول البعض: إنني اعتزلت..

والحمد لله كانت أسرتي ميسورة الحال من الناحية المادية فلم أكن أعمل لحاجة مادية.. وكنت أنفق العائد من عملي على ملابسي ومكياجي وما إلى ذلك.. استمر الوضع حتى شعرت أني لا أجد نفسي في هذا العمل.. وشعرتُ أن جمالي هو

الشيء الذي يُستغل في عملي بالتمثيل.. وعندها بدأت أرفض الأدوار التي تُعرض عليَّ، والتي كانت تركز دائماً على جمالي الذي وهبني الله إياه وعند ذلك قلّ عملي جداً.. كان عملي بالتمثيل أشبه بالغيبوبة.. كنت أشعر أن هناك انفصاماً بين شخصيتي الحقيقية والوضع الذي أنا فيه.. وكنت أجلس أفكر في أعمالي السينمائية التي يراها الجمهور.. ولم أكن أشعر أنها تعبّر عني، وأنها أمر مصطنع، كنت أحسّ أنني أخرج من جلدي.

وبدأت أمثل مع زوجي الأستاذ حسن يوسف في أدوار أقرب لنفسي فحدثت لي نقلة طفيفة من أن يكون المضمون لشكلي فقط بل هناك جانب آخر. أثناء ذلك بدأت أواظب على أداء الصلوات بحيث لو تركت فرضاً من الفروض استغفر الله كثيراً بعد أن أصلّيه قضاءً.. وكان ذلك يحزنني كثيراً.. كل ذلك ولم أكن ألتزم بالزي الإسلامي.

وقبل أن أتزوج كنتُ أشتري ملابس من أحدث بيوت الأزياء في مصر وبعد أن تزوجت كان زوجي يصحبني للسفر خارج مصر لشراء الملابس الصيفية والشتوية!! .. أتذكر هذا الآن بشيء من الحزن، لأن مثل هذه الأمور التافهة كانت تشغلني.

ثم بدأت أشتري ملابس أكثر حشمةً، وإن أعجبني ثوب بكمّ قصير كنت أشتري معه (جاكيت) لستر الجزء الظاهر من الجسم.. كانت هذه رغبة داخلية عندي.

وبدأت أشعر برغبة في ارتداء الحجاب ولكن بعض المحيطين بي كانوا يقولون لي: إنكِ الآن أفضل!! ! .

بدأت أقرأ في المصحف الشريف أكثر.. وحتى تلك الفترة لم أكن قد ختمت

القرآن الكريم قراءة، كنت أختمه مع مجموعة من صديقات الدراسة.. ومن فضل الله أنني لم تكن لي صداقات في الوسط الفني، بل كانت صداقاتي هي صداقات الطفولة، كنت أجتمع وصديقاتي -حتى بعد أن تزوجت- في شهر رمضان الكريم في بيت واحدة منا نقرأ الكريم ونختمه وللأسف لم تكن منهن من تلتزم بالزي الشرعي.

في تلك الفترة كنت أعمل دائماً مع زوجي سواء كان يمثل معي أو يُخرج لي الأدوار التي كنت أمثلها.. وأنا أحكي هذا الآن ليس باعتباره شيئاً جميلاً في نفسي ولكن أتحدث عن فترة زمنية عندما أتذكرها أتمنى لو تمحى من حياتي ولو عدت إلى الوراء لما تمنيت أبداً أن أكون من الوسط الفني!!

كنت أتمنى أن أكون مسلمة ملتزمة لأن ذلك هو الحق والله -تعالى- يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾..

كنت عندما أذهب إلى المصيف أتأخر في نزول البحر إلى ما بعد الغروب ومغادرة الجميع للمكان إلا من زوجي، وأنا أقول هذا لأن هناك من تظن أن بينها وبين الالتزام هُوَّةً واسعة ولكن الأمر -بفضل الله- سهل وميسور فالله يقول في الحديث القدسي: « ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلى ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً ».

وكانت قراءاتي في تلك الفترة لبرجسون وسارتر وفرويد وغيرهم من الفلسفات التي لا تقدم ولا تؤخر وكنت أدخل في مناقشات جدلية فلسفية وكانت عندي مكتبة ولكني أحجمت عن هذه القراءات دون سبب ظاهر.

كانت عند رغبة قوية في أداء العمرة وكنت أقول في نفسي: إنني لا أستطيع أن أؤدي العمرة إلا إذا ارتديت الحجاب لأنه غير معقول أن أذهب لبيت الله دون أن أكون ملتزمة بالزي الإسلامي.. لكن هناك من قلنَ لي: لا.. أبداً.. هذا ليس شرطاً.. كان ذلك جهلاً منهن بتعاليم الإسلام لأنهن لم يتغير فيهن شيء بعد أدائهن للعمرة.

وذهب زوجي لأداء العمرة ولم أذهب معه لخوفي أن تتأخر ابنتي عن الدراسة في فترة غيابي.. ولكنها أصيبت بنزلة شعبية وانتقلت العدوى إلى ابني ثم انتقلت إليّ فصرنا نحن الثلاثة مرضى فنظرت إلى هذا الأمر نظرة فيها تدبر وكأنها عقاب على تأخري عن أداء العمرة.

وفي العام التالي ذهبت لأداء العمرة وكان ذلك سنة ١٩٨٢م في شهر (فبراير) وكنتُ عائدة في (ديسمبر) من باريس وأنا أحمل أحدث الملابس من بيوت الأزياء.. كانت ملابس محتشمة.. ولكنها أحدث موديل.. وعندما ذهبتُ واشتريت ملابس العمرة البيضاء كانت أول مرة ألبس الثياب البيضاء دون أن أضع أي نوع من المساحيق على وجهي ورأيت نفسي أكثر جمالا..

ولأول مرة سافرت دون أن أصاب بالقلق على أولادي لبُعدي عنهم وكانت سفرياتي تصيبني بالفزع والرعب خوفاً عليهم.. وكنت آخذهم معي في الغالب.

وذهبتُ لأداء العمرة مع وفد من هيئة قناة السويس.. وعندما وصلتُ إلى الحرم النبوي بدأت أقرأ في المصحف دون أن أفهمَ الآيات فهماً كاملاً لكن كان لدي إصرار على ختم القرآن في المدينة ومكة.. وكانت بعض المرافقات لي يسألنني: هل ستتحجبين؟ وكنت أقول: لا أعرف.. كنت أعلق ذلك الأمر على زوجي.. هل

سيوافق أم لا.. ولم أكن أعلم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي الحرم المكي وجدت العديد من الأخوات المسلمات اللائى كُنَّ يرتدين الخمار وكنت أفضل البقاء في الحرم لأقرأ القرآن الكريم وفي إحدى المرات أثناء وجودي في الحرم بين العصر والمغرب التقيتُ بإحدى الأخوات وهي مصرية تعيش في الكويت اسمها (أروى) قرأتْ عليّ أبياتاً من الشعر الذي كتبته هي فبكيت، لأنني استشعرت أنها مسّت شيئاً في قلبي وكنت في تلك الفترة تراودني فكرة الحجاب كثيراً ولكن الذي من حولي كانوا يقولون لي: انتظري حتى تسألي زوجك.. لا تتعجلي ... أنت مازلتِ شابة... الخ) ولكن كانت رغبتي دائماً في ارتداء الحجاب قالت الأخت (أروى):

فليقولوا عن حجابي — لا وربي لن أبالي
قد حماني فيه ديني — وحباني بالجلال
زينتي دوماً حيائي — واحتشامي هو مالي
الأني أتولى — عن متاعٍ لزوالِ
لامني الناس كأني — أطلب السوء لحالي
كم لمحت اللوم منهم — في حديث أو سؤال

وهي قصيدة طويلة أبكي كلما تذكرتها ... استشعرت تتحدث بلسان حالي ... وأنها مست شغاف قلبي.

وبعد ذلك ذهبت لأداء العمرة لأخت لي من أبي توفيت وكنت أحبها كثير -

رحمها الله- وبعد أداء العمرة لم أنم تلك الليلة واستشعرت بضيق في صدري رهيب وكأن جبال الدنيا تجثم فوق أنفاسي ... وكأن خطايا البشر كلها تخنقني ... كل مباهج الدنيا التي كنت أتمتع بها كأنها أوزار تكبلني ... وسألني والدي عن سبب أرقي فقلت له: أريد أن أذهب إلى الحرم الآن ... ولم يكن الوقت المعتاد لذهابنا إلى الحرم قد حان ولكن والدي -وكان مجنداً نفسه لراحتي في رحلة العمرة- صحبني إلى الحرم ... وعندما وصلنا أديتُ تحية المسجد وهي الطواف وفي أول شوط من الأشواط السبعة يسّر الله لي الوصول إلى الحجر الأسود ولم يحضر على لساني غير دعاء واحد ... لي ولزوجي وأولادي وأهلي وكل من أعرف ... دعوت بقوة الإيمان ... ودموعي تنهمر في صمت ودون انقطاع... طوال الأشواط السبعة لم أدعُ إلا بقوة الإيمان وطوال الأشواط السبعة أصل إلى الحجر الأسود وأقبّله، وعند مقام إبراهيم عليه السلام وقفت لأصلي ركعتين بعد الطواف وقرأت الفاتحة، كأني لم أقرأها طوال حياتي واستشعرت فيها معان اعتبرتها منة من الله، فشعرت بعظمة فاتحة الكتاب ... وكنت أبكي وكياني يتزلزل ... في الطواف استشرت كأن ملائكة كثيرة حول الكعبة تنظر إلي ... استشعرت عظمة الله كما لم أستشعرها طوال حياتي.

ثم صليت ركعتين في الحِجر وحدث لي الشيء نفسه كل ذلك كان قبل الفجر ... وجاءني والدي لأذهب إلى مكان النساء لصلاة الفجر عندها كنت قد تبدلت وأصبحت إنسانة أخرى تماماً. وسألني بعض النساء: هل ستتحجّبين يا أخت شمس؟ فقلت: بإذن الله ... حتى نبرات صوتي قد تغيرت ... تبدلت تماماً... هذا كل ما حدث لي ... وعدتُ ومن بعدها لم أخلع حجابي ... وأنا الآن في السنة السادسة منذ ارتديته وأدعو الله أن يُحسن خاتمتي وخاتمتنا جميعاً أنا وزوجي وأهلي وأمة المسلمين جمعاء.

توبة الراقصة هالة الصافي

روت الفنانـة الراقصـة، المعروفـة، هالـة الصـافي، قصـة اعتزالهـا الفـن وتوبتهـا والراحة النفسية التي وجدتها عندما عادت إلى بيتها وحياتها، وقالت بأسلوب مؤثر عبر لقاء صحفي معها:

(في أحد الأيام كنت أؤدي رقصة في أحد فنادق القاهرة المشهورة، شعرت وأنـا أرقص بأنني عبارة عن جثة، دمية تتحرك بلا معنى، ولأول مرة أشعر بالخجـل وأنـا شبه عارية، أرقص أمام الرجال ووسط الكؤوس.

تركت المكان وأسرعت في هستريا حتى وصلت إلى حجرتي وارتديت ملابسي.

انتابني شعور لم أحسه طيلة حياتي مع الرقص الذي بدأته منـذ كـان عمـري ١٥ سنة، فأسرعت لأتوضأ، وصليت، وساعتها شعرت لأول مـرة بالسـعادة والأمـان، ومن ذلك اليوم ارتديت الحجاب على الرغم من كثرة العروض، وسخرية البعض.

أديت فريضة الحج، وقفت أبكي لعل الله يغفر لي الأيام السوداء..).

وتختم قصتها المؤثرة قائلة: (هالة الصـافي ماتـت ودفـن معهـا ماضـيها، أمـا أنـا فاسمي سهير عابدين، أم كريم، ربة بيت، أعيش مع ابني وزوجـي، تـرافقني دمـوع الندم على أيام قضيتها من عمري بعيداً عن خالقي الذي أعطاني كل شيء.

إنني الآن مولودة جديدة، أشعر بالراحـة والأمـان بعـد أن كـان القلـق والحـزن صديقي، بالرغم من الثراء والسهر واللهو).

وتضيف: (قضيت كل السنين الماضية صديقة للشيطان، لا أعـرف سـوى اللـهو والرقص، كنت أعيش حياة كريهة حقيرة، كنـت دائمـاً عصـبية، والآن أشـعر أنـي مولودة جديدة، أشعر أني في يد أمينة تحنو علي وتباركني، يد الله سبحانه وتعالى).

توبة الراقصة زيزي مصطفى[1]، [2]

عشرون عاماً من عمرها قضتها في حياة الرقص والمجون والعبث، وفي (عرفات) عرفت طريق الحق وذاقت حلاوة الإيمان، فكانت التوبة:

تقول زينب مصطفى (زيزي مصطفى سابقاً) في بداية حديثها:

ظروفي الماديّة العصيبة هي التي جعلتني أعمل في هذا المجال حوالي عشرين سنة، فأنا أعول أمّي المريضة، وأخواتي البنات، وليس لي مصدر آخر للرزق (***).

ثمّ لم أكن أدري أنّ هذا العمل حرام! ولم يكلّمني أحد في ذلك، وظللت على هذه الحال حتّى أنجبت ابنتي الوحيدة.

ثمّ تضيف:

بعد إنجابي لابنتي هذه حدثت تحوّلات جذريّة في حياتي..

فجأة، ودون سابق إنذار بدأت أصلّي وأشكر الله على هذه النعمة – نعمة الإنجاب –، ثمّ بدأت أفكّر لأوّل مرّة أنّه لا بدّ أن أنفق على ابنتي من حلال، ولا أدري من أين جاءني هذا الشعور، الذي يعني أنّ عملي حرام، وأنّ المال الذي أجنيه من ورائه حرام.

وبدأت أشعر بتغيّرات نفسية دون أن أدري مصدرها.

---

(١) مجلّة الأسرة، العدد: ٥٠ (بتصرّف يسير).

(٢) يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وفي المثل: تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها.

وشيئاً فشيئاً بدأت أتوضّأ، وأنتظم في أداء الصلاة، وبدأت أدخل في نوبات بكاء حادّ ومتواصل أثناء صلاتي، دون أن أدري لذلك سبباً. ومع كلّ هذه البكاء، وتلك الصلاة، كنت أذهب إلى صالة الرقص، لأنّني ملتزمة بعقد، وفي مسيس الحاجة إلى ما يدرّه عليّ من دخل.

وظللت على هذه الحال: أصلّي، وأبكي، وأذهب إلى الصالة، حتّى شعرت بأنّ الله –سبحانه وتعالى– يريد لي التوبة من هذا العمل، عندها أحسست بكرهي الشديد للبدلة التي أرتديها أثناء عملي.

كنت كثيراً ما أستفتي قلبي: هل بدلة الرقص التي أرتديها يمكن أن أنزل بها إلى الشارع؟ فكنت أجيب نفسي، وأقول: طبعاً لا، وبعد عشرين سنة من الرقص، لم يمنعني عملي المحرّم أن أميّز بين الحلال والحرام. إنّ الحلال والحرام بداخلنا، ونعرفهما جيداً حتّى دون أن نسأل أهل العلم.

لكنّ الشيطان يزيّن لنا طريق الحرام حتّى يغرقنا فيه.

كانت هناك رسائل ذات معنى أرسلها الله سبحانه لي حتّى أستيقظ من الغفلة التي أحاطتني من كلّ جانب.

كان الحادث الذي تعرّضت له هو أوّل هذه الرسائل.. وبسبب هذا الحادث قُطع الشريان الذي بين الكعب والقدم، وقال لي أحد الأطباء: بحسب التقرير، وحسب العلم الذي تعلّمناه، سوف تعيشين بقيّة حياتك على عكّاز.

وبعد فكّ الضماد وجدتني أسير بطريقة طبيعية وسليمة مع تساوي قدميّ كما أفادت التقارير الطبيّة.

اعتبرت ذلك رسالة لها معنى من الله –سبحانه وتعالى– وأنّ قدرته المعجزة فوق كلّ شيء، فقد نجوت من موت محقّق، ونجوت من عمليّات كثيرة في قدمي كان من الممكن أن أعيش بعدها عاجزة.

أمّا الرسالة الثانيّة فقد كانت أشدّ وضوحاً، أرسلها الله إليّ عن طريق صديقة ابنتي في المدرسة عندما عيّرتها بمهنتي، وجاءت ابنتي تبكي، فبكيت معها، وتأكدّ لي أنّ مهنتي غير مقبولة في المجتمع.

ثم جاءت الرسالة الثالثة، وكان لها صوت عال بداخلي، فكثيراً ما كنت أحدّث نفسي أنّي أريد أن أربّي ابنتي من مال حلال، وأن أعلّمها القيم والمثل والأخلاق الفاضلة، وكنت أسخر من نفسي، وأقول: وأيّ قيم سوف أعلّمها ابنتي وأنا أقوم بذلك العمل.

ثمّ مرضت ابنتي، فكنت أهرع إلى سجّادة الصلاة.. أركع، وأسجد، وأدعو الله أن يشفيها. وبعد أن شفيت، كان لابدّ من التفكير في الاعتزال النهائي، لأنّه لا يجتمع في قلب المؤمن إيمان وفجور، ولأنّ الصورة أصحبت واضحة تماماً أمامي، ولا تحتاج إلى تفسير آخر.

وفي الأيّام الأخيرة كنت أشعر شعوراً حقيقيّاً بالشوك يشكّني في جسدي كلّما ارتديت بدلة الرقص، وفي مرّة من المرّات كنت أصلّي، وأبكي، وأدعو الله أن يتوب عليّ من هذا العمل الذي يبغضه، وفجأة.. وأثناء دعائي وتضرّعي بين يدي الله قمت من فوري لأتوجّه إلى خزانة ملابسي، وفتحتها، ونظرت إلى بدل الرقص باحتقار شديد، وقلت بصوت عالٍ أشبه بالصراخ: لن أرتديكِ بعد اليوم. وكرّرت هذه الجملة كثيراً، وأنا أبكي كما لَمْ أبكِ من قبل. وبعد هذه النوبة البكائية شعرت

براحة نفسيّة عجيبة، تسري في أنحاء جسدي، وتُدخلني في حالة إيمانية أخرى مكّنتني من التخلّص من حياتي السابقة بيسر وسهولة، ولو كنت في أمسّ الحاجة إلى المال الذي أعول به نفسي، وأمّي، وأخواتي، وابنتي.

لقد جاء قرار الاعتزال من أعماقي، وسبقه وقت أمضيته في التفكير والبكاء، ومراجعة النفس، حتّى رسوت على شاطئ اليقين بعد حيرة وعذاب، وشهرة زائفة، وعمل مُرهِق مجرّد من الإنسانية والكرامة، كلّه ابتذال ومهانة وعريّ، وعيون شيطانيّة زائغة تلتهم جسدي كلّ ليلة، ولا أقدر على ردّها.

هذه الرجعة إلى طريق النور منّة من الله –سبحانه وتعالى– وحده، فهو الذي امتنّ عليّ بها، وليس لأحد من الخلق أيّ فضل فيها.

ثمّ أديت العمرة مرّتين، وفي المرّة الثانية بعد أن عدت إلى بلدي، قرّرت الاعتزال النهائي، وبعدها بشهرين فقط كتب الله لي الحجّ، وفهمت بأنه مكافأة من الله عزّ وجلّ، وفي الحجّ، ونحن على صعيد عرفات الطاهر، بكيت بكاء أشبه بالهستيريا، حتّى بكى لبكائي جميع من في الخيمة، ثمّ عدت من الحجّ بحجاب كامل، أدعو الله أن يغفر لي، وأن يسامحني، لأنّني كنت في غفلة، لا أدرك ما أعمله حرام، ولم يعظني أحد في ذلك.

لم يعجب اعتزالي أولئك المهتمّين بالفن، وبدأت العروض المغرية تنهال عليّ بأكثر ممّا أتوقّع، واعتقدت في نفسي أنّ هذه العروض ما هي إلا اختبارات حقيقيّة من الله تعالى ليختبر صدق إيماني؛ هل أنا صادقة في توبتي أم أنّها لحظات مؤقّتة، وأعود بعدها لأنجذب من جديد لهذه العروض الشيطانية، ووقفت أتحدّاهم بالرفض، وأتحدّى نفسي، وأوّل هذه العروض التي رفضتها كانت بمبلغ ضخم

للعمل في مسرحية مع ممثل مشهور تستمّر عروضه المسرحية لسنوات عديدة. وثاني هذه العروض جاءني من شركة سياحية لا أعرف لحساب من تعمل. إذ عرضت عليّ أن أذهب إلى ألمانيا لتعليم الرقص الشرقي بمبلغ عشرة آلاف دولار شهريّاً، وسيّارات أحدث موديل، وشقّة فخمة في حي راقٍ بألمانيا. رفضت كلّ ذلك ولم يصدّقوا، فاتّصلوا بي وأملوا حججهم: كيف ترفضين عرضاً كهذا؟ فسوف تعملين بالحجاب، ثمّ إنّ الفتيات اللاتي ستقومين بتعليمهنّ لسن على دينك، فلماذا ترفضين؟! وكان ردّي: إنّ كلّ بنت صغيرة، أو فتاة يافعة سوف أقوم بتعليمها سوف آخذ وزرها حتى لو كانت غير مسلمة.

أمّا السؤال الأكثر وقاحة، الذي لم أكن أتوقّعه، فقد قيل له: إذا كنت اعتزلتِ، حذا حذوك راقصات، فأين يذهب الرقص الشرقي؟!

وأسئلة أخرى أكثر سخافة وفضوليّة، مثل: من أين تدبّرين أمورك؟ وتربيّن ابنتكِ؟ فأجبتهم بالرفض القاطع من أجل أن أعيش بقية عمري تحت مظلّة الإيمان، وقلت: أنا سعيدة بوضعي الجديد، وقانعة به، وسوف يرزقني ربّي، ولن يتخلّى عنّي بعد أن منّ عليّ بالتوبة.

أمّا العرض الأكثر إغراء الذي لم أتوقّعه في حياتي البتّة، فقد تلقّيته من أحد الغيورين! على اندثار الرقص الشرقيّ بخمسين ألف دولار نظير إحياء ليلة واحدة من الرقص، أحييه وسط النساء فقط، ولمدّة ساعتين، وكان جوابي الصارم: لا، وألف لا، لأنّ هذه المحاولة دوافعها مفهومة لي، فإذا كان أكبر أجر تلقّيته في حياتي أثناء عملي في دول أوربيّة كان ألفين أو ثلاثة أو أربعة آلاف دولار، نظير عقد كامل لمدّة معينة ؛ فلماذا يعرض عليّ هذا المبلغ نظير إحياء ليلة واحدة؟! المقصود

هو إخراجي من حجابي، ومن دائرة إيماني التي ولجت فيها عن صدق ويقين.

بعد هذا الـرفض الأخـير أصـابهم اليـأس، وتوقّفـوا عـن محـاولاتهم الدنيئـة لإغرائي بالابتعاد عن طريق النـور الـذي سـلكته ورضـيته، والحمـد لله علـى كـلّ حال..

توبة الممثلة هدى رمزي(1)

الطريق إلى الله عز وجل مفتوح أمام التائبين، ومهما كانت الذنوب والآثام فرحمة الله قد وسعت كلّ شيء، وهو القائل سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

هكذا بدأت الممثلة التائبة هدى رمزي حديثها للمجلّة، أمّا رحلتها إلى الهداية فترويها بقولها:

منذ نشأتي الأولى وأنا في الوسط الفنّي، فوالدي كان منتجاً ومخرجاً، وشقيقي الأكبر كذلك، وبعد تخرّجي من كليّة الإعلام – قسم الإذاعة والتلفزيون، سلكت طريق الفنّ لعدّة سنوات، ظللت خلالها أفكّر كثيراً في جدوى هذا العمل المليء بالذنوب.

كنت في رحلة بحث متواصلة عن الفضيلة، وتزوجت عدّة مرّات بحثاً عن تلك القيم الزائفة، المفقودة في حياتي، ورحت أقرأ واستمع كثيراً لشتّى الآراء والأفكار، حتى شاهدت حديثاً لأحد المشايخ المعروفين في التلفزيون، ومن فرط تأثري به حاولت الاتصال بهذا الداعية الجليل.. وبالفعل أعطاني عدّة كتب، وحدّثني كثيراً عن قيم الإسلام السامية دون أن يصرّح، ومن تلقاء نفسي وجدت أنّ حظيرة الإسلام هي أفضل ما يمكن اللجوء إليه، وبعد قراءات واتّصالات مع الشيخ

(١) مجلّة الدعوة، العدد: ١٥٠٧ (بتصرّف).

قررّت اعتزال هذا العفن نهائياً، وإعلان توبتي إلى الله – عزّ وجلّ-، واكتشفت أنّ هذا التصرّف هو ضالّتي المنشودة التي كنت أبحث عنها منذ سنوات، ثـم وجـدتها والحمد لله.

وأنا الآن أقضي معظم وقتي في قراءة القرآن وكتب الفقه حتّى أعوّض ما فـاتني من علوم الدين الضرورية التي لا يسع مسلم الجهل بها.

أمّا ما أنوي عمله – إن شاء الله – فهو تأسيس دار لتشغيل الفتيات المسـلمات، وتعليمهن أصول دينهنّ ودنياهنّ أيضاً حتى يستطعن مواجهة الحياة وتربية الـنشء، كما أنوي أيضاً – إن شاء الله – تأسيس دار للأيتام ورعايتهم، لأنّ كافل اليتـيم لـه أجر عظيم عند الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: «أنا وكافـل اليتـيم في الجنّـة كهـاتين» وأشار بأصبعه ؛ السبّابة والتي تليها وأنا أطمع في تلك المكانة الرفيعة.

أما رأيها في الفنّ بشكله الحالي، فتقول:

إنّ الوضع القائم الآن باسم الفنّ حرام بكلّ المقاييس، ولا يمكن أن يسمّى فنّـاً، بل هو عفن وفساد، ومجون واختلاط، ودمار للأخلاق والمجتمعـات، فهـو لا يخدم المجتمع، ولا يقدّم قيماً ولا مثلاً للشباب، فيكف يكون حلالاً. نحن نقول حرام بعد أن خضنا تجربته، وعندنا الدليل والحجّة على ذلك، فما يجري فيما يسمّى بالوسـط الفنّي حالياً لا يمكن أن يمتّ للدين بصلة، فالإسلام يحضّنا على الالتـزام والصـدق والنقاء والفضيلة، والفنّ اليوم يدعو إلى ضدّ ذلك.

وفي نصيحة للاتي لا زلن في ذلك الوسط تقول:

أقول لهنّ: إنّ الطريق إلى الله خير وأبقى، وهـو دائمـاً مفتـوح للتـائبين، وحـين

ترجعن إلى حظيرة الدين ستعلمن أنّ ما يقدّم باسم الفنّ ما هو إلا عفن، ولا علاقة له بالدين، بل هو من المحرّمات والفساد المنهي عنه، لأنّه علاوة على كونه لهواً لا يفيد شيئاً فهو أيضاً يعتمد المحرّمات سبيلاً، ويكرّس الخطيئة، ولا يهدف إلى الصالح العام، فتبن إلى الله، فهو توّاب رحيم.

أمّا اللاتي تبن ثمّ عدن إلى غيّهن، فأقول لهن ما قاله الله - عزّ وجلّ - في سورة التوبة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥].

فهؤلاء كان في نفوسهن مطمع ومرض، ولما لم يمكنهن مما أردن، عدن إلى الشيطان).

هذا ما قالته الفنانة سابقاً هدى رمزي عما يسمى بالوسط الفني، وهو كلام قيم يبين حقيقة ما يجري في ذلك الوسط العفن الذي تتحدث عنه كثيراً وسائل الإعلام، وتلمع أهله!!

توبة الممثلة سهير البابلي*

من الفنانات اللاتي التحقن مؤخراً بركب الإيمان، الممثلة سهير البابلي، تحدّثنا عن رحلتها إلى الإيمان فتقول:

منذ خمس سنوات أحسست بأنّ في حياتي شيئاً خاطئاً، ولكن حبّي لعملي كان كبيراً، فطغى على هذه الأحاسيس في داخلي، فكانت تطفو على السطح بين آن وآخر،، وزادت تلك الأحاسيس عمقاً في داخلي منذ عامين، فبدأت أغيّر أنماط حياتي بالمزيد من التقرب إلى الله، فحاولت التعرف على كتاب الله أوّلاً، وأخذت أقرأ، وأستفسر، وأعمل بقول المولى الكريم، ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]. فكنت ألجأ إلى العلماء لأستفسر عمّا يستعصي عليّ فهمه من آيات وأحاديث، فاكتشفت أنه ليس هناك ما هو أجمل ولا أفضل من التقرّب إلى الله، وبكيت ودعوت الله أن يهديني، ويأخذ بيدي إلى طريق الحقّ، حتّى كان يوم من الأيّام التي لا أنساها، كنت على موعد مع درس من دروس الإيمان من أحد الدعاة، فإذا باللقاء يمتدّ لأكثر من ثلاث ساعات، شعرت فيها بشعور يصعب عليّ تفسيره. وعدت إلى منزلي، وصليت الظهر، وبكيت كما لم أبكِ من قبل، ودعوت الله أن يلهمني رشدي، وأن يباعد بيني وبين الشيطان.

وأمسكت بالمصحف، وقرأت قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النور: ١]

(*) مجلّة الدعوة، العدد الصادر في: ٢/ ٣/ ١٤١٤هـ وجريدة المسلمون، العدد: ٤٣٩ (بتصرف).

فكان قرار الحجاب الذي نبع عن عقيدة وعزيمة، بعـد مـا علمـت بفرضـيّته ، ودون مناقشة، امتثلت لأمر الله.

أما زملائي سابقاً في الوسط الفني فأقول لهم بإحساس إيماني صادق ، إنّ طريق الإيمان هو ثمرة الدنيا والآخر، وإن طاعة الله خير من الدنيا وما فيها.

وأقول لهم أنتم تعيشون في تيه وضياع، وتعايشون الغفلة والدمار، وإنـي أدعـو لهم بالهداية.

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة	٥
حاملة القرآن	٧
نماذج مضيئة للفتاة المسلمة	٨
ماتت كما تتمنى	١٠
توبة على يد يتيمة	١٣
ضياع	١٧
الزائرة الفاتنة	٢٢
ضيعتنى مكالمة	٢٧
توبة مدرسة على يد إحدى طالباتها	٣٠
توبة فى السكن الجامعى	٣٢
توبة غواة القرية	٣٥
اعترافات طالبة	٣٨
توبة فتاة عن الأزياء المحرمة	٤٨
السر	٥٣

كم آلمتنا قصتها	٦٠
لا طلاق ولا عدة بل فراق	٦٤
توبة فتاة	٧٦
الصلاة .. الصلاة والحجاب	٧٨
الوداع الأخير	٨٢
ثبات أخت متحجبة	٨٣
ممرضة أمريكية تشهر إسلامها فى المطار	٨٧
أسلمت وهى فى سكرات الموت	٩١
كانت هدايتى بعد كأس الشاى	٩٥
تابت عند سماع الأذان	٩٧
أصبت حدا فطهرنى	١٠١
وأدهشهن شموخ العزة	١٠٥
معاكسات سبب توبتى	١٠٧
الجوهرة المصونة	١٠٩
توبة فتاة فى العشرين	١١٢

توبة امرأة غافلة بعد موت زوجها	١١٤
توبتى ومعلمتى	١١٦
بين الغناء والقرآن	١٢٦
الحب المحرم	١٣٢
بين الشهرة والتوبة	١٣٧
توبة الممثلة شمس البارودى	١٣٩
توبة الراقصة هالة الصافى	١٤٥
توبة الراقصة زيزى مصطفى	١٤٦
توبة الممثلة هدى رمزى	١٥٢
توبة الممثلة سهير البابلى	١٥٥